



شعوب متمكنة.
أمم صاعدة.



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



”لا مستقبل
بغير كتاب“

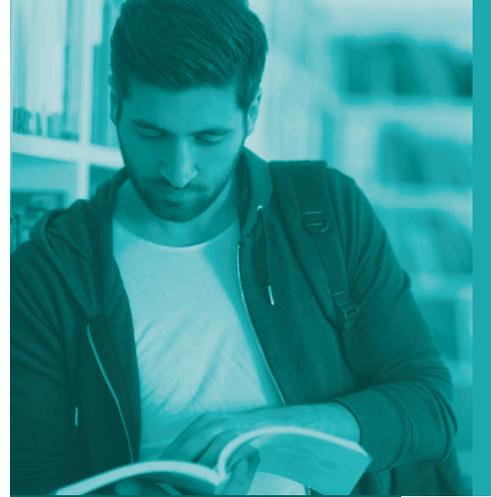
محمد بن راشد آل مكتوم



”أحياناً تكون قراءة
بعض الكتب أقوى
من أي معركة“

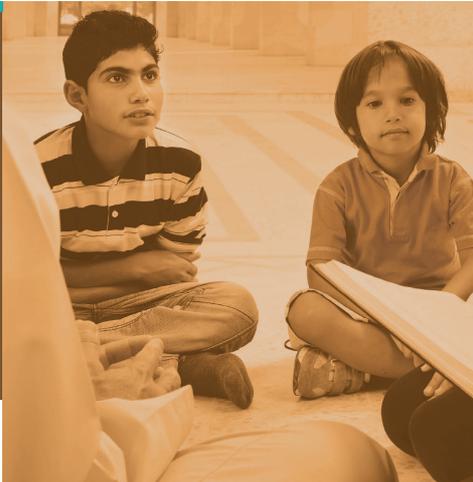
هنري والاس

مؤشر
القراءة
العربي
2016



”من سيحكم العالم؟
الذين يعرفون كيف
يقرأون“

فولتير



”قراءة الكتب الجيدة
هي بمنزلة التمازج مع
أعظم العقول التي
عاشت عبر العصور“

ديكارت

مؤشر القراءة العربي 2016



شعوب متمكنة.
أمم صامدة.



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



شعوب متمكنة.
أمم صامدة.



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

أعدّ مؤشر القراءة العربي من خلال الشراكة بين مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية/ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

طبع في شركة دار الغرير للطباعة والنشر، دبي- الإمارات العربية المتحدة
على ورق خالٍ من الكلورين وباستعمال حبر ذي أساس نباتي مصنّع باتباع تقنيات غير ضارة بالبيئة.

تصميم الغلاف: دوأدفت
التصميم الداخلي والإخراج الفني: دار الغرير للطباعة والنشر

طبع في دبي، الإمارات العربية المتحدة

التحليلات والنتائج الواردة في هذه المطبوعة لا تعبر بالضرورة عن آراء مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم أو برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أو مجلسه التنفيذي أو الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. فالتقرير منشور مستقل، وهو ثمرة جهد تعاوني بذله فريق من الاستشاريين والخبراء البارزين.

تقديم

رئيس مجلس الإدارة

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

مؤشرات القراءة والمعرفة العربية..

رصد موضوعي وعلمي للواقع ونهج نحو التنمية المستدامة للشعوب

تعلمنا من دروس التاريخ أنّ الحضارات التي سادت لم تكن لتستمر بفضل قوتها أو ثروتها المادية فقط، بل بفضل جهود أبنائها وقدراتهم المتجددة في ابتكار الحلول للتحديات التي واجهتها، أمّا الحضارات التي توقفت عن العمل والتعلّم والبحث عن الفرص المستقبلية، فقد تراجعت وطوتها كتب التاريخ. وهذا هو النهج الذي تعلمناه من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي «رعاه الله»، عن أهمية ودور العمل والابتكار في بناء الحضارات والأمم وتحقيق الرفاهية للشعوب.

إنّ نجاح هذا النهج في تحقيق أهدافه يتطلّب بذل جهود حثيثة لابتكار الأدوات العلمية التي تساعدنا وتدعمنا للوقوف على التحديات، والقدرة على طرح الحلول وتطبيق أفضل الممارسات لمعالجتها، وبالتالي النهوض بالمجتمعات. ومن هذا المنطلق نضع اليوم بين أيديكم حصيلة هذه الجهود التي تؤكّد مجدداً ريادة دولة الإمارات العربية المتحدة ودبي في إطلاق مبادرات ومشاريع خلّاقة تسعى إلى نشر مفاهيم المعرفة والابتكار في جميع أرجاء العالم، وجعل هذه المفاهيم أسلوب حياة واستراتيجية وطنية لتحقيق التنمية المستدامة على الصّعد كافّة.

نطلق من هنا، من أرض الإمارات بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ثمرة جديدة لشراكة مهمة امتدت لسنوات، وتضمّنت جهوداً هائلة لنخبة من المختصين والخبراء في مجالات المعرفة والبحوث، وهي «مؤشر القراءة العربي»، هذا المشروع الأول من نوعه في المنطقة، الذي يواكب الاستراتيجية الوطنية للقراءة لدولة الإمارات، التي تهدف إلى إعلاء قيمة القراءة، والتحفيز على جعلها ثقافة يومية في حياة أبنائنا، من خلال مبادرات ومشاريع تضمن تحقيق هذا الهدف وفق خطط زمنية محددة.

وتجسيداً لدورنا في مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم، كجهة معرفية مختصة بإطلاق مبادرات ومشاريع تهدف بشكل أساسي إلى تعزيز مكانة دبي والإمارات على الخارطة المعرفية العربية في مجالات التعليم والبحث العلمي والتنمية، فقد حرصنا على أن يكون «مؤشر القراءة العربي» أداة موضوعية علمية تتسم بالشفافية والأمانة في رصد واقع القراءة في دولنا العربية، وقياس مستويات التنمية الثقافية الصحيحة، والتعرّف إلى تأثير المبادرات المعرفية المهمة في مجتمعاتنا، بعيداً عن الأرقام والمعلومات العشوائية والمغلوطة، المبنية على الافتراضات والاستنتاجات، وأن يصبح رافداً أساسياً للمعلومات للجهات المعنية وصنّاع القرار، للمساهمة في وضع السياسات والخطط التنموية في مجالات القراءة والمعرفة.

ومع إطلاق «مؤشر القراءة العربي» لن ننسى أن نؤكد أيضاً دور «مؤشر المعرفة العربي» الذي أطلقته المؤسسة خلال فعاليات قمة المعرفة 2015، ليتوجَّ جهود ثلاثة تقارير معمقة في هذا المجال، وليصبح منتجاً معرفياً فريداً من نوعه، يوضِّح حال المعرفة في ستة مجالات محورية في دول المنطقة العربية، شملت: التعليم ما قبل الجامعي، والتعليم العالي، والتعليم التقني والتدريب المهني، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والبحث والتطوير والابتكار، واقتصاد المعرفة.

لقد نجح «مؤشر المعرفة العربي» في أن يقدِّم للمعنيين في العالم العربي خارطة الطريق، للمساهمة في وضع استراتيجيات النمو والنهضة على المستويات كافة، من خلال تقديم بيانات وإحصاءات علمية دقيقة مبنية على آليات بحثية منهجية، يتمُّ تحديثها سنوياً بما يتوافق مع المعايير الدولية المتعارف عليها في ذات الإطار، وليصبح مشروعاً «مؤشر المعرفة العربي»، و«مؤشر القراءة العربي» جزءاً من مشروع المعرفة العربي الذي يسعى إلى ردم الهوة المعرفية في عالمنا العربي، وتحويل دوله إلى مجتمعات قادرة على صناعة المعرفة ونشرها وتسخيرها لخدمة شعوبها وأجيالها القادمة.

سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم
رئيس مجلس الإدارة
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

يتزامن صدور هذا التقرير مع دخول مشروع المعرفة العربي في سنته العاشرة؛ وهو مشروعٌ تميّز منذ بداياته بالتركيز على ثنائية المعرفة والتنمية في سياقٍ تكامليٍّ وتفاعليٍّ يُراعي خصوصية المنطقة العربية والتحديات التنموية التي تُواجهها. وقد انتقل المشروع من مرحلة الدراسات الساعية إلى استقراء الوضع المعرفي في المنطقة العربية، بالتحليل والتأسيس النظريين، إلى مرحلة الرصد الفعلي والكمّي للمشهد المعرفي. وهذا ما يُتيح لمختلف المعنّيين في الدوائر السياسية والأكاديمية والبحثية والصناعية والاقتصادية بناء سياساتٍ مدروسة ومدعّمة بالبيانات والشواهد العلمية، ورصد أيّ تقدّم أو تراجعٍ في القطاعات الستة التي يعتمد عليها مؤشر المعرفة العربي، وهي: التعليم ما قبل الجامعي، التعليم العالي، التعليم التقني والتدريب المهني، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، البحث والتطوير والابتكار، الاقتصاد.

وتُوجّ المشروع هذا العام بإصدارين متميّزين، الأول هو نسخة 2016 من مؤشر المعرفة العربي التي تتضمن مراجعةً موضوعيةً وعلميةً منهجيةً لمؤشر عام 2015، مع بعض التعديلات في بنية المؤشر وما يشمله من متغيّرات؛ بهدف الوصول إلى مؤشراتٍ أكثر قدرةً على قياس المشهد المعرفي، بمختلف تفاصيله وأبعاده في المنطقة العربية. الإصدار الثاني هو مؤشر القراءة العربي الذي يمثّل مبادرةً جديدةً من مشروع المعرفة العربي تستند بشكلٍ كبيرٍ إلى استبيانٍ إلكترونيٍّ ضخم؛ أجراه المشروع هذا العام وشارك فيه أكثر من 145 ألفاً من مختلف الدول العربية.

وفيما يُركّز مؤشر المعرفة على العلاقة الحيوية بين المعرفة والتنمية لمواكبة التطور المستمر في عالمنا اليوم، يُركّز مؤشر القراءة على أهمية القراءة كأداة الحياة اليومية في المجتمع المعاصر؛ باعتبارها السبيل الأوثق لتطوير قدرات الفرد ومهاراته، ودعم جهود الابتكار والإبداع والتطوير. فالقراءة للمعرفة كالحرف للأبجدية، وهي التجسيد الأول والأبسط والأهم لشغف المعرفة والفضول الذي يقود إلى الابتكار والتقدّم والتنمية. والقراءة هي السمة المميّزة للشعوب المتقدّمة، ونافذة العقل على حقول المعرفة وأساس التعلم بمعناه الواسع والمستمرّ في عصرٍ تتجدّد فيه العلوم والمعارف والمعلومات بنسقٍ غير مسبوق؛ كما أنّها مفتاح العلوم وأداة الإنسان لفهم ذاته ومحيطه، ومواجهة مختلف التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتنموية بأساليبٍ فعّالةٍ ومستدامة.

ويأتي مؤشر القراءة العربي ليستكمل المبادرة الطموحة التي انطلقت العام الماضي والمتمثلة في بناء مؤشر المعرفة العربي، وليعزّز جهود مشروع المعرفة العربي الرامية إلى تحقيق نهضة معرفية عربية. ويسعى المؤشران إلى توفير معلوماتٍ نوعيّةٍ مفيدة وبياناتٍ كمّية هادفة تساعد على فتح مداخلٍ متنوّعةٍ لمقاربة الوضع المعرفي في المنطقة العربية، عبر أدواتٍ منهجيةٍ تُراعي معايير الدقّة والموضوعية والملاءمة. ويأمل في أن تُسهم مثل هذه المبادرات في صياغة استراتيجياتٍ وسياساتٍ عامّةٍ مستبصرة، تدعم جهود التنمية المعرفية وتساعد على التحفيز على المطالعة والقراءة الحرة؛ وتوظيفها لتكون رافداً أساسياً في بناء مجتمع المعرفة، وتحقيق التنمية الإنسانية المستدامة.

كان مؤشّر القراءة العربيّ نقله نوعية في أداء مشروع المعرفة العربي. فقد مهدّ لمرحلة جديدة ينتقل فيها المشروع من مرحلة الدراسة الكميّة، باستخدام بيانات المصادر الدوليّة أو الاعتماد على دراسات ميدانية في دول محدّدة، إلى مرحلة إنتاج بيانات منهجيّة علمية عن المعرفة في المنطقة العربيّة؛ عبر الاستبيان الإلكتروني الذي شمل جميع الدول العربيّة، وكان بهذا تطبيقاً عملياً لما يدعو إليه من مجاراة لسُنن عصر المعرفة وثورة المعلومات والاتصالات. ويتطلّع فريق التقرير قُدماً إلى إنتاج المزيد من البيانات الكميّة والنوعية التي تُغني المشهد المعرفيّ العربيّ، وتدعم عملية رسم السياسات العامّة، نحو تحقيق التنمية الإنسانية المستدامة.

لم يكن كلّ هذا التميّز ممكناً لولا التعاون والتشارك الاستثنائيّ بين برنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم التي احتضنت المعرفة وسعت إلى دعمها بمختلف المبادرات؛ انطلاقاً من رؤية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربيّة المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وهو القائل: في سباق التميّز، لا يوجد خطٌّ للنهاية.

إنّ مشروع المعرفة العربيّ هو من المبادرات القليلة - بل النادرة - التي تسعى إلى رسم ملامح رؤية جديدة لآفاق التنمية الإنسانية المستدامة في الدول العربيّة، ولم تثنه عن ذلك التحديات الصعبة والتقلبات الحادّة التي تشهدها المنطقة العربيّة منذُ بضع سنوات. واليوم، كما في كانون الأول/ ديسمبر من كلّ عام، نُقدّم هذا الإنجاز مع خالص الشكر والتقدير لجميع من ساهموا في اكتماله على هذه الصورة المتميزة. ونخصّ بالذكر منهم: فريق العمل في مشروع المعرفة العربيّ، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والقائمين عليها والعاملين فيها، وفريق العمل في برنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ؛ منتظرين كلّ جديدٍ من مبادرات مشروع المعرفة العربيّ وإصداراته.

صوفي دو كاين
مديرة المكتب الإقليمي للدول العربيّة بالإناة
برنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ

المشاركون

الفريق المركزي

نجوى الفزاع غريس (كاتب رئيسي)، أحمد أوزي (كاتب مشارك)، علي سعيد الكعبي، علي إبراهيم، خالد الوزني، محمد إسماعيل، معتز خورشيد، يسري الجمل، يوسف الصديق

مدير مشروع المعرفة العربي

هاني تركي (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي)

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

جمال بن حويرب (العضو المنتدب)، فيصل بوجسيم (المدير التنفيذي)، سيف المنصوري (مستشار الشؤون المؤسسية للعضو المنتدب)

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

سيما بحوث (مساعد الأمين العام للأمم المتحدة/المدير الإقليمي-المكتب الإقليمي للدول العربية 2012 - 2016)، صوفي دو كاين (مديرة المكتب الإقليمي للدول العربية بالإنابة)، خالد عبد الشافي (مدير المركز الإقليمي)، يعقوب بريش (منسق البرنامج الإقليمي)، ألبيرتو ناتا (محلل بالبرنامج الإقليمي)

مشروع المعرفة العربي

هاني تركي (مستشار فني رئيس)، سماح حمّود (محلل)، مريم عيتاني (باحث)، سيرين صغيره (محرر الويب)، ساره سلامة (باحث مساعد)، أنطوني فاخوري (باحث مساعد)، ستيفاني البستاني (باحث مساعد)

العمليات الإدارية

أبوسيب حسين الصادق (خبير إدارة الموارد والنتائج، رئيس وحدة دعم إدارة البرامج الإقليمية)، مايا بيضون (إختصاصي إدارة مشاريع)، طارق توفيق عبد الهادي (إستشاري إدارة مشاريع)

تحرير النص

النص العربي: غسان غصن
النص الإنكليزي: فرنسيس فيلد

الترجمة إلى الإنكليزية

عبد الرحمن محمد

تصميم الغلاف

دوآدفت



قائمة المحتويات

1	تمهيد
2	توضيحات مفاهيمية
2	القراءة
3	القراءة
4	القراءة-المطالعة
5	الوضع العربيّ على خريطة القراءة في العالم
6	ماذا تقول الأرقام المتداولة؟
8	أرقام مفزعة تطرح نقاط استفهام كثيرة: قراءة نقدية
9	من الملاحظات المهمّة التي ينبغي الوقوف عندها
11	مبادرات عربية كثيرة للنهوض بالقراءة في المجتمعات العربية
13	أهمية بناء مؤشّر عربي للقراءة
14	عرض المؤشّر: المحاور ومبررات اختيارها
14	منسوب القراءة
15	إتاحة فرص القراءة
15	مستوى الأسرة
16	مستوى المؤسسة التعليمية
16	المستوى المجتمعي
17	السمات الشخصية: القدرات والاتجاهات والدوافع المرتبطة بالقراءة
19	منهجية استبيان مؤشّر القراءة العربي
19	توضيحات منهجية
20	وصف بنية الاستبيان
22	تقنية جمع البيانات
22	العينة الإجمالية
22	المنهجية الإحصائية
23	نتائج مؤشّر القراءة وتحليلها
23	المنسوب الإجمالي للقراءة

25	منسوب القراءة بحسب مجال المقروء: داخل مجالي الدراسة والعمل أو خارجهما
25	منسوب قراءة الكتب بحسب نوع وعاء المقروء: ورقّي أو إلكتروني
26	منسوب قراءة الكتب بحسب لغة المقروء: عربية أو أجنبية
28	إتاحة فرص القراءة
29	الإتاحة في مستوى الأسرة
29	الإتاحة في مستوى المؤسسة التعليمية
30	الإتاحة في مستوى المجتمع
30	السّمات الشخصية للقارئ
32	الاتجاهات نحو القراءة
32	الدّافعية نحو القراءة
33	القدرات القرائية
34	جوانب نوعيّة متعلقة بموضوع القراءة
34	القراءة والشّعور بالارتياح والسّعادة
35	الأسباب الدافعة إلى القراءة
36	أصناف القراءة الورقية
37	أصناف القراءة الإلكترونيّة
39	الاهتمام بحركة النشر ومتابعتها
39	الخلاصة والتوصيات
42	الخاتمة

47 المراجع

قائمة الأشكال

14	الشكل 1: تركيبة مؤشّر القراءة العربي
24	الشكل 2: نتائج الدول العربية في منسوب القراءة بعدد الساعات والكتب سنويًا
27	الشكل 3: عدد الكتب المقروءة سنويًا في صلتها باللّغة وبمجال الدراسة والعمل
29	الشكل 4: نتائج الدّول العربيّة في إتاحة فرص القراءة، في الأسرة والمؤسسة التعليمية والمجتمع
31	الشكل 5: نتائج الدّول العربيّة في القدرات القرائية، والاتجاهات والدافعيّة نحو القراءة

35	الشكل 6: نسب الشعور بالسعادة نتيجة القراءة في الدول العربيّة
36	الشكل 7: دوافع القراءة على مستوى المنطقة العربيّة
37	الشكل 8: أصناف القراءة الورقية في الدول العربيّة
38	الشكل 9: أصناف القراءة الإلكترونيّة في الدول العربيّة

قائمة الجداول

20	الجدول 1: توزيع فقرات الاستبيان على محاور مؤشّر القراءة العربي
25	الجدول 2: المتوسط العربي لمنسوب القراءة بحسب مجالها
28	الجدول 3: نتائج الدول العربيّة في محاور إتاحة فرص القراءة
31	الجدول 4: نتائج الدول العربيّة في محاور السّمات الشخصية للقارئ

لا جدال حول الأهمية الحيوية التي تحظى بها القراءة في عالم اليوم، وما يمكن أن تفتحه من عوالم عديدة أمام القارئ. فالقراءة أداة الحياة اليومية في المجتمع المعاصر، والسبيل الأوثق لتعزيز القدرات والمهارات التواصلية والاجتماعية والمهنية، إلى جانب كونها عاملاً أساسياً في مجال الابتكار والإبداع والتطوير. والقراءة نافذة العقل على حقول المعرفة باعتبارها أساس التعلم بمعناه الواسع، والتعلم الذاتي خصوصاً في عصر تتجدد فيه العلوم والمعارف والمعلومات بنسب غير مسبوق؛ وهي مفتاح العلوم وأداة الإنسان لفهم ذاته ومحيطه ورسالته، وامتلاك مقاليد تسييرها. ولا عجب إذن أن تقترن الديانات السماوية بالكتب وتعلي من شأن فعل القراءة وقيمة الكتب: "فَتَشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَطُنُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً"¹؛ "افْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"². فالقراءة تعد نقطة انعتاق الفرد من براثن الجهل والانطلاق الفعلي في مشروع بناء شخصيته وتنمية قدراته اللغوية والذهنية والتعبيرية، وتعميق وعيه بذاته وبالآخرين. وكلما ازداد إقبال الفرد على القراءة همت أفكاره، وتوسعت مدارك عقله، وامتدت آفاق رؤاه. ولا تقف فوائد القراءة عند الفرد فحسب، بل تتعداه أيضاً لتنعكس على المجتمع ككل؛ لأن المجتمع الذي يقرأ أفرادُه يكون أكثر قابلية للتحرر من قبضة التبعية والهيمنة الخارجية، وأكثر قدرة على التصدي لمخاطر التطرف والدغمائية. فالمجتمع الذي يقرأ مجتمع لا يستعبد ولا يجوع³، لأنه مجتمع متيقظ، ومثقف، ومهيأ لإيجاد الحلول لمشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية عديدة.

القراءة هي أبجدية الإنسان لفهم الكون بمختلف ظواهره، ولتمكينه من الأدوات الفكرية الضرورية، والمعرفة اللازمة للسيطرة على تلك الظواهر وتطويرها لخدمته. فالعلاقة بين القراءة والمعرفة عضوية حيوية، من حيث أن القراءة أحد المفاتيح الأساسية لاكتساب المعرفة؛ فضلاً عن كونها إحدى الوسائل الأساسية لنشرها وتطويرها. ولقد كانت القراءة على مر العصور - وستظل - أفضل أدوات تناقل المعرفة بين العقول البشرية المختلفة، باعتبارها الصفة المميزة للشعوب المتقدمة. ولا سبيل إلى تحرير الإنسان من الخرافة والعبودية الفكرية، وإلى التواصل البناء مع الإبداعات الإنسانية وتحقيق التقدم والرفق والازدهار والتميز، إلا من خلال بوابة القراءة وآفاقها الرحبة. فالأمة المتقدمة المتربعة اليوم على عرش العالم، هي التي اهتمت بالقراءة والعلم بصفة عامة؛ واستطاعت بفضلها أن تتغلب على الجهل والتخلف، وتحقق الأمن المعرفي. ولا يمكن أن تكون هناك أمة قادرة على الإبداع ما لم يكن أفرادها ملازمين للكتاب، متعطشين للقراءة؛ يقرأون ويستوعبون باستمرار، ويتابعون ما يُنشر. فمن دون ذلك، سيعمهم الجهل وتسيطر على تفكيرهم الفجاجة والسطحية وتضعف فعاليتهم. لذلك، تُعتبر القراءة مقياساً مهماً لتقييم المجتمعات وقياس درجة انفتاحها الفكري، ومدى تقدمها في سلم التنمية والنهضة الحضارية؛ ولتقييم قدرة الدول على التحكم في مصيرها، والتأثير في من حولها. ويرى فولتير أن الذين يعرفون كيف يقرؤون هم من سيقود الجنس البشري في الدول المتحضرة⁴.

تُعتبر القراءة أحد أرقى الأنشطة التي يمارسها الإنسان، لأنها تُغذي العقل وتمتّع الروح. ويحكي أن أول مكتبة أنشأها الفراعنة كتبوا على بابها "هنا غذاء النفوس وطب العقول"؛ وهي عبارة تختزل الفوائد الجمة للقراءة.

أضف إلى ذلك أن القراءة المنتظمة تُساهم في توسيع المدارك، والتحرر من عالم ضيقٍ محدود الأفق إلى عالم آخرٍ أوسع أفقًا وأبعد غاية. ولعلّ هذا ما عبّر عنه عباس محمود العقّاد أحسنّ تعبير: "كلا .. لست أهوىّ القراءة لأكتب، ولا أهوىّ القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب .. وإنما أهوىّ القراءة لأنّ عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب". ويردّف قائلاً: "لا أحبّ الكتب لأنني زاهدٌ في الحياة.. ولكنني أحبّ الكتب لأنّ حياةً واحدةً لا تكفيني.. ومهما يأكل الإنسان فإنه لن يأكلَ بأكثر من معدةٍ واحدةٍ، ومهما يلبس فإنه لن يلبسَ على غير جسدٍ واحدٍ، ومهما يتنقل في البلاد فإنه لن يستطيع أن يحلّ في مكانين. ولكنّه بزيادة الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيات في عمر واحدٍ، ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحبّ المتبادل، وتتضاعف الصورة بين مرأتين"⁵.

بالنظر إذن إلى هذه الأهمية الحيويّة للقراءة ودورها المتعاظم في امتلاك ناصية المعرفة وولوج عالم الثقافة الرّحب، لا بدّ من التساؤل: أين موقع المنطقة العربيّة على خريطة القراءة في العالم؟ وما مكانة القراءة الحرّة، أو ما يُعرف بالمطالعة في حياة المواطن العربي؟ وإلى أي مدى استطاعت مطالعة المكتوب أيّاً كان نوعه (كتباً أو مجلات أو صحفًا أو نشرات أو غيره)، وأيّاً كان عاؤه أو مستنده (ورقيّاً أو إلكترونيّاً)، أن تصمد أمام جاذبية وسائل الإعلام الحديثة؟ وإلى أي مدى تُعتبر البيئة العربيّة الحالية جاذبةً للكتاب، ومحفّزةً على المطالعة؟ هذا ما سيحاول مؤشّر القراءة العربي، موضوع التقرير الحالي، الكشف عنه؛ سعياً إلى تشخيص موضوعي لواقع المطالعة في المنطقة العربيّة. ويأتي هذا المسعى لِيستكمل المبادرة الطموحة التي انطلقت العام الماضي والمتمثّلة في بناء مؤشّر المعرفة العربي، وليُعزّز جهود مشروع المعرفة العربي الرامي إلى تحقيق نهضة معرفيّة عربيّة.

يعدّ مؤشّر القراءة العربي إضافةً نوعيّة من شأنها إغناء مشروع المعرفة العربي بشكلٍ عامّ، وتعزيز مكوّنات مؤشّر المعرفة العربي بشكلٍ خاصّ؛ لما يمكن أن يُوفّره من معلوماتٍ نوعيّة مفيدة وبياناتٍ كميّة هادفة تساعد على فتح مداخلٍ متنوّعة لمقاربة الوضع الثقافيّ والمعرفيّ في المنطقة العربيّة. ومن خلال ما سيُتيحه مؤشّر القراءة العربي من رصد لمستويات الثقافة في المنطقة العربيّة - عبر أدواتٍ منهجية تُشخص مكانة القراءة وتُحصر أشكالها وحواملها المختلفة، وتضبط المتغيّرات المتحكّمة فيها - يُؤمل أن تُصاغ استراتيجيّة مستبصرة تساعد على تحفيز المطالعة والعمل على توظيفها لتكون رافداً أساسياً في بناء مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية الإنسانيّة المستدامة للشعوب العربيّة.

توضيحات مفاهيمية

القراءة

للقراءة عدّة تعريفات تتقارب في المعنى وإن اختلفت في المبنى. ففي 'المعجم الوسيط'، الصادر عن مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، قرأ الكتابَ يقرأ قراءةً، وقرأنا: تتبّع كلماته نظراً ونطق بها؛ وتتبع كلماته ولم ينطق

بها، وسُمّيت (حديثاً) بالقراءة الصامتة. وقرأ الشيءَ قرأً، وقرأنا: جمعه وصمَّ بعضه إلى بعض⁶. والواضح من هذا الجانب المُعجمي أنه يقف عند كون القراءة تعني تتبّع الكلمات، والضمّ والجمع بين الرموز الكتابية ودلالاتها الصوتية. أما اصطلاحاً، فإنّ القراءة عمليةٌ تعرّف على الرموز المكتوبة والمطبوعة، وتفكيكها. فهي سيّورةٌ معرفيةٌ مركّبة، تنطلق من الرموز والحروف بغرض فهم المعنى وبناءه للوصول إلى الفهم والإدراك؛ وهي أساسُ التحصيل المعرفي والثقافي، ووسيلةٌ لاكتساب اللغة والتواصل.

ويُعرّف قاموس لوجيندر⁷ التربويّ القراءةَ بأنها نشاطٌ إدراكيٌّ بصريٌّ وعقليٌّ يساعد على ترميز/تشفير معنى نصٍّ عبر إعادة تركيب المضمون أو الرسالة التي فكّكت في شكل معلومةٍ كتابية. أما في مجال التعليم، فإنّ القراءة هي الوضعيةُ الخاصة التي يُجعلُ فيها المتعلّم قادراً على فكّ الرموز وفهم النصوص ذات الطبيعة المختلفة، والتي تزوّده بمعلوماتٍ ومعارفٍ على قدرٍ من الأهمية حول العالم. يقول أحد الباحثين في علم النفس:

"إن فعل القراءة-الكتابة عبارة عن نشاط جد معقد لا يمكن اكتسابه بسهولة ولا توظيفه بسرعة من لدن القارئ المبتدئ. فهو فعل ذهني يستلزم من الذات نشاطاً معرفياً مركباً ينتهي بفهم المادة المقروءة ولا يمكن اختزاله في أداء بصري صرف. فإذا كان التحليل البصري للعلامات الكتابية ضروري في القراءة، فهو لا يمثل سوى جانب ثانوي داخل السيورة المركزية للمعالجة اللفظية لتلك العلامات. فالقراءة تبتدئ فعلاً باستقبال المعلومة الكتابية (مدخل بصري) لكن المراحل الموالية تحمل على المعالجة المعرفية اللسانية لهذه المداخل قصد استخلاص الدلالة اللفظية من العلامات المكتوبة"⁸.

وتكتسي القراءة بهذا المعنى "أهمية حاسمة في اكتساب عادة القراءة والتمكن من مهاراتها في بناء التعلّقات نظراً لدور القراءة في إتمام المعارف والمهارات والقدرات والقيم التي تشكل أهداف التعلم"⁹.

يُستخلص مما سبق أن القراءة فعلٌ معرفيٌّ يقوم على تفكيك رموزٍ معروفة لدى القارئ، هي الحروف على اختلاف اللغات، للوصول إلى معنى الكلمات التي تُكوّن الجُمْلَ لتُعطي معنىً كاملاً للنصّ المقروء. وقد تتخذ عملية القراءة شكلَ استرجاع شيءٍ منطوق أو ذهنيٍّ لمعلوماتٍ مخزّنة، أكانت على شكل حروفٍ أو رموزٍ أو حتى صور، نظراً، أو لمسا كما هو الحال في كتابة برايل¹⁰ للمكفوفين. وهناك أشكالٌ أخرى من القراءة لا تكون على شكل لغة، مثل قراءة النوتات الموسيقية أو الصور التوضيحية؛ فيما القراءة في مجال الحاسوب استرجاع معلوماتٍ من أماكن تخزينها على الحاسوب، بواسطة الأقراص الصلبة والمرنة وغيرها.

القراءة

كثيراً ما يُميّز بين القراءة¹¹ في مفهومها العام وبين القراءة الوظيفية أو المهارة القرائية¹². فالمعنى الأول يقتصر على الإشارة إلى نشاطٍ إدراكيٍّ وبصريٍّ وعقليٍّ يسمح بفكّ معنى نصٍّ من خلال إعادة بناء الرسالة التي رُمّزت في شكل معلوماتٍ مكتوبة. أما المعنى الثاني، فهو يتجاوز ذلك إلى السيورة التي تجعل من الشخص قادراً على اكتساب سلوكٍ حقيقيٍّ في القراءة وتنمية مهارة الوصول إلى المعلومات المكتوبة. ومن الواضح أنّ هذا

المفهوم يتجاوز المعنى البسيط للقراءة، ليَجعل منها أداةً وظيفية في حياة الإنسان، وهذا هو التعريف الذي تتبناه منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) خلال جهودها الرامية إلى محو الأمية في العالم: "يتمثل مفهوم معرفة القراءة والكتابة والحساب في المقدرة على التحديد، والفهم، والتفسير، والخلق، والاتصال، والحساب باستخدام المواد المكتوبة والمطبوعة المرتبطة بسياقات مختلفة. معرفة القراءة والكتابة تتضمن استمرارية التعلم في تمكين الأفراد من تحقيق أهدافهم، وتطوير معرفتهم وإمكاناتهم، والمشاركة بشكل آمل في الجماعة والمجتمع الأوسع"¹³. أما منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، فتُعرّف القرائية بأنها "فهم واستخدام النصوص المكتوبة والتفكير فيها؛ من أجل تحقيق كل شخص لأهدافه وتنمية معرفته وقدراته وللمشاركة في المجتمع"¹⁴؛ بينما تُعرّفها الوكالة الفرنسية للغة بأنها منهجية تعليم أو تعلم القراءة الموجهة إلى مجمل السكان التي تمكنهم من ضبط الكتابة، ليس كتقنية بسيطة للقراءة فحسب، وإنما كأداة للتفكير والفهم والعمل¹⁵.

يتبين مما ذُكر آنفاً أنّ أهمية القراءة والقرائية كمهارات أساسية لا غنى عنها للتكيف مع متطلبات عصر المعلومات ومجتمع المعرفة، ولمواكبة التطورات المعرفية التي تُستحدث كل يوم. وتتعدى الآثار الإيجابية لهذه المهارات الفرد لتتضمن المجتمع بأكمله، بالنظر إلى الدور الذي تؤديه في تعزيز الإنتاجية بفاعلية القوى العاملة وتعزيز مشاركة المواطنين في المجتمع؛ كما "تؤثر معرفة القراءة والكتابة إيجابياً على التنمية الاقتصادية ومحو الفقر حيث يمكن رؤية ذلك ببساطة عند مقارنة مستوى المعيشة، ودخل الفرد، والناتج المحلي الإجمالي، ومستوى التصنيع وتطوير البنية التحتية في بلد ما"¹⁶.

القراءة-المطالعة

القراءة-المطالعة هي القراءة التي يلجأ إليها الفرد من تلقاء نفسه، وباختياره، ووفق ميوله وحاجاته التي يحاول إشباعها بالمطالعة. وهذا النوع من القراءة أكثر متعة، وقد يكون أكثرها فائدة؛ لأن ما يُستبقى في ذهن المرء لمدة أطول هو ما ينتقيه المرء تلقائياً ويستمتع بقراءته. وقد عرّف أحد الكتاب العرب هذا النوع من القراءة بطريقة إجرائية، بكونها "قراءة الكتب والمجلات والصحف العربية والأجنبية، الورقية والإلكترونية، التي هي سبيل إلى الاكتساب والتعلم الذاتي، والمعرفة المستقلة، في معارضة التعليم والتلقين، بصفتها أداتين من أدوات السلطة، السياسية والدينية السائدة، وإعادة إنتاجها"¹⁷. فمما لا شك فيه أنّ القراءة ليست هدفاً في حد ذاته، بقدر ما هي سيرة تساعد على اكتساب المعلومات والمعارف من مختلف المصادر التي تُنمي شخصية القارئ وتُساعد على تفتحها، لتحقيق تفاعله الإيجابي مع محيطه. فالمطالعة نشاط إرادي يستنهض مجموعة من العمليات الذهنية التي تؤدي إلى قراءة المكتوب، واستيعاب معانيه، والانتفاع بما يحتويه من أفكار؛ ما يُنمي معلومات القارئ ويُجددها، ويوسع بالتالي دائرة معارفه. وهي أيضاً أداة تحقيق التعلم الذاتي والمستمر لمواكبة الأحداث والتغيرات الكثيرة التي تتاب العالم. فهذا المفهوم يجعل من القراءة-المطالعة عملية معقدة تستوجب الربط والتنظيم والتقييم والاستنتاج والفهم؛ إذ تُترجم الرموز إلى دلالتها الفكرية، بعيداً عن القراءة الآلية والميكانيكية البحتة التي تنحصر بالتعرف على الحروف والنطق بها.

المطالعة، إذن، عمليةٌ ثلاثيةٌ تشمل جوانبَ فسيولوجيةً وذهنيةً وانفعاليةً: تتمثل الأولى في الاستجابة الحسية التي تُمكن من إمعان النظر في المكتوب وفك رموزه؛ وتتمثل الثانية في القدرات الإدراكية التي تُمكن من استيعاب المفاهيم والأفكار المقروءة؛ وتتمثل الثالثة في المهارات العليا التي تُحوّل التفاعل مع المقروء ونقده وإبداء الرأي فيه، وُصولاً إلى توظيف المحصول المعرفي الناتج عن عملية القراءة برمتها في الحياة. وما يُميّزها كذلك عن سائر أنواع القراءة أنها تتحرّك بدوافعٍ داخليةٍ، أساسها الرغبة والمتعة الذاتية. بهذا المعنى، تُصبح المطالعة أداةً أساسيةً للتعلّم والتثقيف ومفتاح الوصول إلى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، إلى جانب كونها وسيلةً للترويج عن النفس. وهي تفترض وجوداً اكتساب القدرة على القراءة وتملك مهارات قرائية (كمعالجة النصوص وفهمها وتحليلها وتقييمها)، تمهيداً للوصول إلى درجةٍ أرقى؛ يُصبح بمقتضاها فعلُ المطالعة سلوكاً موطئاً في الإنسان، أو حاجةً أساسيةً تُمارَس في الحياة كالحاجة إلى الغذاء والهواء. وهذا المفهوم الواسع للقراءة هو الذي يتبنّاه العمل الحالي.

إجرائياً، يُعرّف العمل الحالي القراءة كفعلٍ إراديٍّ يُمارسه الإنسان ويتفاعل خلاله مع نصٍّ مكتوب (مقروء)، لتتحوّل بمقتضاه الرموز المكتوبة إلى معلوماتٍ وأفكارٍ بُغيةً الاطلاع والاستفادة والاستمتاع. ويُمكن أن يُمارَس هذا النشاط الذهني على كل أنواع المؤلفات من كتبٍ ومجلاتٍ ومقالاتٍ بأنواعها وغيرها، وعلى كل أنواع المستندات الورقية والإلكترونية. فمجال القراءة المقصود في هذا الإطار يتجاوز حدود الوعاء الورقي ليهتَم بأشكال النشر الجديدة المفترزة من ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتطورة التي غيرت من طبيعة وسائل الاتصال التقليدية، وطرائق التواصل وعادات التلقي، قراءةً وكتابةً واستماعاً ومشاهدةً؛ كما غيرت أنماط القراءة ومستنداتها. وحوّلت هذه التكنولوجيات مسارَ المطالعة من الكتب والمقالات الورقية نحو نظيراتها الإلكترونية، حيث أشار تقريرٌ نشرته اليونسكو إلى حدوث تغييرٍ في نمط القراءة والاتجاه إليها عبر تقنية الفضاء الإلكتروني في الدول النامية¹⁸. وبذلك، اتخذت المطالعة وسائطٍ أخرى غير الكتاب، ما أدى إلى تحوّل في فعل القراءة ذاته.

الوضع العربيّ على خريطة القراءة في العالم

القراءة هي أهمُّ المهارات والقدرات الأساسية، ومدخلٌ حيويٌّ إلى المعرفة والقدرة اللّتين يمكنهما تحرير المجتمعات فكرياً ومادياً¹⁹. غير أنّ متصفّح العديد من التقارير تُطالعه مجموعة أرقام وإحصائيات صادمة تلتقي حول استنتاج واحد هو عزوف المواطن العربيّ عن القراءة، وبخاصة في العقود الأخيرة؛ إلى جانب تراجع مبيعات الكتب بشكلٍ لافتٍ للنظر. فمن بين ما يجري تناقله في مصادرٍ مختلفة (تقارير، منتديات، دراسات، إلخ.) أنّ أمة "اقرأ" لا تقرأ، وأنّ العرب أقلُّ الشعوب قراءةً، وأنّ أزمة القراءة في العالم العربيّ بنيويةٌ وذهنيةٌ على حدٍّ سواء²⁰. كذلك، فإنّ "أزمة القراءة في عالمنا العربيّ خطيرة جداً، وتستدعي سرعة التدخل من كل الأطراف، سواء الرسمية أو النخبوية أو الشعبية"²¹؛ و"عواقب هذه الأزمة وخيمة" لأنها "أزمة قراءة تعصف في الساحة العربية كغيرها من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعانيها"²². وهناك من يصف هذه الوضعية بأنها "إعاقة قرائية"؛ ويرى آخرون أنّ الأزمة "لا تتعين في نسبة من يقرؤون فقط، بل في ما يقرؤونه، وكيف يقرؤون، وفي الغاية من القراءة"²³. وتذهب المخاوف ببعضهم إلى إمكانية حدوث "تصحّر ثقافي"؛ ويتساءل

غيرهم: هل ما زال في العالم العربي "خير جليس في الزمان كتاب"؟ وترجع كل هذه الآراء والأقوال أسباب ظاهرة عدم المطالعة إلى عوامل عديدة، على رأسها غياب إستراتيجية ثقافية وإرادة سياسية مكيّنة.

ماذا تقول الأرقام المتداولة؟

لا بدّ من التوضيح أولاً أنّ الأرقام المتاحة حول القراءة في المنطقة العربية ضعيفة التوثيق، إذ يتداول أغلبها في الفضاء الافتراضي مثل منتديات عامة، أو مواقع تُقدّم نفسها على أنها مختصة في مجال التعليم أو الثقافة، أو صحف ومجلات إلكترونية، إلى غير ذلك. ورغم أن كثيراً من هذه الأرقام ينسبها ناشروها إلى مؤسسات وتقارير معروفة، إلا أنهم يُغفلون تماماً ذكر المراجع والمصادر المأخوذة منها؛ كما أنّ كثيراً يتناقلونها على علاتها من دون تدقيق أو تحقيق. ومن أكثر المصادر التي تكرر ذكرها تقريباً في كل ما نُشر حول القراءة هما بالدرجة الأولى منظمة اليونسكو ومؤسسة الفكر العربي، تليهما تقارير الأمم المتحدة ومنظمة الألكسو. ومن أكثر الأرقام تداولاً أنّ معدل القراءة عند الفرد العربي 6 دقائق سنوياً مقابل 200 ساعة للفرد في أوروبا وأمريكا²⁴؛ وأنّ الطفل الأمريكي يقرأ تقريباً 6 دقائق يومياً، في حين لا يقرأ الطفل العربي سوى 7 دقائق سنوياً. وأنّ كل 20 طفلاً عربياً يقرؤون كتاباً واحداً، بينما يقرأ الطفل البريطاني 7 كتب، والأمريكي 11 كتاباً²⁵.

إلى جانب ذلك، تعددت الأرقام والإحصائيات وتنوّعت مصادرها، كما سيّتبين ذلك؛ مع التنويه بأنّ هذه الأرقام ستُحال إلى المصادر التي نشرتها وليس بالضرورة إلى مراجعها الأصلية التي تظل في أغلبها غير متاحة، وبعضها غير صحيح.

- جاء في موقع "تعليم جديد" وهو مدوّنة إلكترونية عربية متخصصة في تفتيات التعليم، في مقالٍ عنوانه "كي لا تبقى القراءة واقعا مريرا في العالم العربي" أنّ "تدني الإقبال العام على القراءة مشكلة كانت ولا تزال تثقل قطاع الثقافة والتعليم في العالم العربي"²⁶. وللتأكيد على عمق الظاهرة، ذُكرت مجموعة إحصائيات²⁷ منها أنّ معدل القراءة في العالم العربي لا يتجاوز 4 في المئة من معدل القراءة في إنكلترا، وفي حين يصدر كتاباً واحداً فقط لكل 12 ألف مواطن عربي، يصدر كتاب لكل 500 إنكليزي، وكتاب لكل 900 ألماني.

- وردت في موقع المستجدات السويسرية²⁸ معلومات وأرقام عديدة عن القراءة في العالم العربي، أهمها أنّ معدل القراءة للفرد العربي يبلغ 6 دقائق في السنة، مقابل 36 ساعة لنظيره الغربي. وبينما يقرأ كل 20 عربياً كتاباً واحداً في السنة، يقرأ الأوروبي 7 كتب؛ ومقابل كل كتاب يصدر في العالم العربي، يصدر 50 كتاباً في الغرب. وإجمالاً لا تتعدى مساهمة الدول العربية 1.1 في المئة في معدّل الإنتاج العالمي للكتاب.

- بمناسبة اليوم العالمي للكتاب، نشر موقع "رصيد22"²⁹ مجموعة من الأرقام حول واقع القراءة في العالم العربي، منسوبة إلى مراجعٍ مختلفة غير محدّدة التواريخ، من بينها أنّه في حين يقرأ كل 80 مواطناً عربياً كتاباً واحداً في السنة، يقرأ المواطن الأوروبي نحو 35 كتاباً (نسبت هذه الأرقام إلى "تقرير التنمية البشرية" للعام 2003 الصادر عن اليونسكو"، علماً بأنّ هذا التقرير يصدر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وليس

عن اليونيسكو). ودُكر أيضاً أنّ الطفلَ العربي يقرأ نحو رُبْع صفحة خارجَ منهاجه الدراسي سنويّاً، بينما يقرأ الطفلُ الأمريكي 11 كتاباً، والبريطانيُّ 7 كتب (منسوبٌ إلى "تقرير التنمية الثقافية" للعام 2011). واستناداً إلى دراسةٍ أجرتها شركة سينوفات المتعددة الجنسيات لأبحاث السوق عام 2008، نقل الموقعُ أنّ المصريين والمغاربة يقضون 40 دقيقةً يومياً في قراءة الصحف والمجلات، مقابل 35 دقيقةً في تونس و34 في السعودية و31 في لبنان. وفي مجال قراءة الكتب، يقرأ اللبنانيون 588 دقيقةً في الشهر، والمصريون 540 دقيقةً، والمغربيون 506 دقائق، والسعوديون 378 دقيقةً.

- أورد موقعُ "عالم زمزم" مجموعةً من الأرقام بشأن الميول القرائية حُصل عليها عبر استبيانٍ لزوار الموقع بين عامي 2007 و2010، تُظهر أنّ القصصَ الخيالية والمغامرات تحتل الصدارة (51 في المئة)، تليها الكتب العلمية (15 في المئة)، ثم المواضيعُ الدّينية (9 في المئة)، وأخيراً الكتبُ التاريخية (7 في المئة)³⁰. ولم يُحدّد التقريرُ حجمَ العيّنة؛ واكتفى بالإشارة إلى أنّ المستجوبين ينتمون إلى الفئة العُمرية بين 10 أعوامٍ و17 عاماً، وأنّ معظمهم من سوريا وفلسطين والسعودية والجزائر ودول الخليج العربي.

- أوردت صحيفةُ "رأي اليوم" في مقالٍ بعنوان "دفاعاً عن القراءة في العالم العربي"³¹، مجموعةً من الأرقام والتعليقات حول القراءة؛ منها أنّ نصيبَ كلِّ مليون مواطنٍ عربي من الكتب المترجمة لا يتجاوز 4.4 كتاب، مقابل 500 كتاب لكلِّ مليون مجري، وما يقارب 950 كتاباً لكلِّ مليون إسباني. وتبلغ مبيعاتُ الكتب إجمالاً في كل أنحاء العالم 88 مليارَ دولار، لا يتجاوز فيها نصيبُ العالم العربي 1 في المئة؛ بينما تُناهِز سوقُ الكتب في الولايات المتحدة الأمريكية نحوَ 30 مليارَ دولار، وفي اليابان نحوَ 10 مليارات، وفي بريطانيا نحوَ 9 مليارات.

بالإضافة إلى هذه التوصيفات لواقع القراءة على المستوى الإقليمي، توجد تقاريرٌ وطنيةٌ عديدة تلتقي جميعها، وإن اختلفت منهجياتها، مع ما سبق ذكره من أرقام؛ مشيرةً إلى ضعف القراءة أو تراجعها في دول معيّنة. فعلى سبيل المثال، أظهر استطلاعٌ للرأي في تونس عن علاقة التونسي بالكتب أنّ 75 في المئة من المستجوبين لا يملكون كتباً في منازلهم، وأنّ 18 في المئة فقط قرؤوا كتاباً في الفترة الممتدة على الـ12 شهراً المنقضية. وتتفوّق النساءُ على الرجال في قراءة الكتب بـ6 في المئة، حيث بلغت نسبةُ مطالعة النساء للكتب 21 في المئة مقابل 15 لدى الرجال. وظهرت أكبرُ نسبةٍ من الإقبال على قراءة الكتب في صفوف الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة، وقُدّرت بـ28 في المئة؛ في حين كانت أضعفُ نسبةٍ في صفوف مَنْ هُم ما بين 46 و55 سنة (8 في المئة)³².

وجاء في إحدى الدراسات الجزائرية أنّ هناك ضعفاً في القراءة لدى الطفل الجزائري لأسبابٍ عديدة، "أهمها ضعف وقلة فضاءات المطالعة المتاحة للطفل الجزائري، وغياب مشروع ثقافي وطني للنهوض بالقراءة والمطالعة في المجتمع الجزائري عموماً وفي أوساط الطفولة خاصة"³³. ومن الأرقام الهامة المذكورة أنّ الطفلَ الجزائري يقرأ دقيقتين في السنة، وأنّ نصيبَ الفرد الجزائري من الكتاب في السنة لا يتعدى نصفَ كتاب. وأظهرت الدراسةُ أنّ المدنَ الكبرى ذات الكثافة السكانية العالية، مثل وهران والجزائر العاصمة وقُسنطينية،

لا توجد فيها سوى 10 مكتبات أطفال، وأنَّ جلَّ هذه المكتبات لا تتوافق والمعايير المطلوبة حسبَ مديرية الكتاب والمطالعة العمومية بوزارة الثقافة؛ بالإضافة إلى عدم توفر مكتبات أو قاعات للمطالعة في 93 في المئة من المدارس الجزائرية.

في سوريا، كشفت دراسة ميدانية حول المطالعة عند الأطفال والعادات المتعلقة بها، أُجريت في اللاذقية تحديداً³⁴ على عينة من 242 عائلة ذات مستوى تعليمي ومادّي جيّد، أنّ 85 في المئة من الأسر لا يملك طفلها مكتبة خاصة به في المنزل أو حتى رفّاً خاصّاً بكتبه (غير المدرسية). وعن عدد الكتب الخاصة بكلِّ طفلٍ منها، تبين أنّ لدى 24 في المئة من هؤلاء الأطفال أقلّ من عشر كتب، في مقابل 11 في المئة فقط يملكون أكثر من 50 كتاباً. وبالنسبة إلى نوعية الكتب التي يميل إليها الأطفال، فهي على التوالي: قصص وروايات (30 في المئة)، كتب دينية (22)، ألغاز ومسابقات وألعاب (19)، كتب علمية (13)، كتب داعمة للمنهج المدرسي (7)، كتب تاريخية (5)، مجلات أطفال (0.77 في المئة).

في السياق ذاته، تُبين ورقة بحثية بعنوان "المطالعة مفتاح الثقافة: مفهومها ودورها في تنمية الفرد والمجتمع"³⁵ أنّ 54.14 في المئة من الفلسطينيين، رغم منع سلطات الاحتلال استيراد الكتب من دول عديدة وبخاصة العربية منها، يمارسون عادة القراءة والمطالعة؛ فيما الذكور منهم أكثر من الإناث (58.2 في المئة مقابل 51.5). ويبن المسح أيضاً أنّ لدى 25.1 في المئة من الأسر في المدين مكتبة في البيت، مقابل 18.8 في القرى، و31.8 في المخيمات. وعند مقارنة معدّلات ممارسة القراءة بين الأفراد من 9 سنوات وأكثر بحسب مكان الإقامة، أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق كبيرة في النسب المئوية (56.3 للأفراد القاطنين في المدن، و53.0 للقاطنين في القرى، و51.9 للقاطنين في المخيمات).

ونشر الموقع الإلكتروني لصحيفة عكاظ السعودية مقالاً بعنوان "مخاوف من حدوث 'تصحّر ثقافي'... هل أمة اقرأ لا تقرأ؟"³⁶، وردت فيه مجموعة من الإحصائيات حول وضع القراءة في المجتمع السعودي، مستقاة من مصادر مختلفة، بينها أنّ المملكة - بحسب مؤشر نقاط الثقافة في العالم للعام 2014 - تقع في المرتبة العاشرة على مستوى العالم؛ بمعدّل قراءة يصل إلى 6 ساعات و48 دقيقة للفرد في الأسبوع الواحد. لكنّ هذه الأرقام تشمل كلّ أنواع القراءة، بما في ذلك القرآن الكريم، والصحف والمجلات، والكتب الدراسية، وملفات العمل والتقارير، وكتب التسلية. وذكّر أيضاً أنّ أكثر من 33 في المئة من أفراد المجتمع السعودي يتخذون من القراءة الحرة نشاطاً يومياً، وأكثر من 17 في المئة يمارسونها كل يومين؛ وأنّ 68 في المئة من السعوديين يقضون أكثر من 10 دقائق في قراءة المطبوعات الورقية من صحف ومجلات وكتب وقصص وروايات، مقابل 75 في المئة منهم يقضون أكثر من 10 دقائق في قراءة نصوص إلكترونية.

أرقامٌ مُفرّعة تطرح نقاطاً استفهام كثيرة: قراءة نقدية

يخرج المتصفح لهذه المعطيات وغيرها بخلصة من الآراء والأحكام التي تبدو قاسية أحياناً وتبعث على الانشغال والخوف من عواقب ذلك على حاضر الأمة ومستقبلها. فكل الأرقام تتفق على وجود تدنٍّ في

معدلات القراءة في المنطقة العربية اعتبره البعض عاملاً مهماً يُفسر إلى حد كبير التراجع الثقافي والتأخر المعرفي اللذين تشكو منهما المنطقة. لكن لا بدّ من الإشارة إلى أن الأرقام المنشورة حول القراءة في العالم عموماً، وفي المنطقة العربية خصوصاً، تنطوي على عددٍ من الهنات التي يجب التنبيه إليها وأخذها بعين الاعتبار عند تأويلها. وهذا ليس هروياً من مواجهة الحقيقة أو بدافع البحث عن عزوٍ خارجي لحالة "الضعف" التي تُشير إليها الأرقام، لكنّه بالأحرى سعيٌّ إلى إبراز حدود هذه الأرقام ونسبيّة الخلاصات التي انتهت إليها؛ حتى يكون التعامل مع الواقع أكثر دقّة وموضوعية، وبعيداً عن التضخيم المُحبط والتّهوين المُضلل.

من الملاحظات المهمة التي ينبغي الوقوف عندها

- طريقة احتساب الأرقام: إنَّ الحديث مثلاً عن "6 دقائق قراءة سنوياً" يبدو رقماً مبالغاً فيه جدّاً ويبحث على الشك؛ وبخاصّة أن ما من توضيحات حول كيفية احتساب هذه القيمة. فحتى مؤسسة الفكر العربي نفسها، وهي مرجع الرقم، صرّحت بأنّ "6 دقائق قراءة سنوياً" رقم رمزيّ يُصوّر وضع القراءة المزري في العالم العربي؛ وي طرح عدّة تساؤلات: عن أيّ قراءة تتحدّث الأرقام وأيّ فئة عمريّة تعني؟ هل تُميّز بين القراءة 'النظامية' (المستوجبة مدرسياً أو أكاديمياً) والقراءة 'الحرّة الطوعيّة' (المطالعة)؟ هل أُدمجت ضمن هذا الرقم كلُّ أشكال 'المقروء'، أم انحصر الأمر في قراءة الكتب؟ هل أخذ في الاعتبار عدد الأميين في الدول العربية أم لا؟ والأسئلة ذاتها تحوم حول الرقم المنسوب إلى اليونسكو "ربع صفحة سنوياً"، الذي تبرأت منه اليونسكو بحسب ما أفاد به أحد الباحثين في مقالٍ عنوانه "القارئ العربي وخرافة الست دقائق"³⁷.
- أساليب قياس القراءة: أكثر الأرقام المتداولة حول القراءة استُخلِصت عبر مسوحاتٍ لا تستند في غالب الأحيان إلى دراسات عميقة وموضوعية؛ تقوم أساساً على جمع الآراء والتصورات، وبالتالي تبقى مصطبغة بالذاتية ومحكومة بمدى وضوح المعاني وصدق الإجابات. وهذا يجعل من الصعب الحصول على رقم دقيق بشأن القراءة، خصوصاً إذا قيست بعدد الكتب أو الصفحات، أو بعدد الدقائق التي يقضيها الطفل العربي في القراءة. فهذه القياسات ترتبط بمتغيّراتٍ أخرى 'خفيّة' مثل حجم الكتاب وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة، فضلاً عن اختلاف عادات القراءة ونسقتها من بيئةٍ إلى أخرى ومن دولة عربيّة إلى أخرى؛ وبالتالي يستوجب اعتمادها أخذ جملةٍ من الاحتياطات المنهجية الصارمة.
- التّفاوُت والتضارب: يوجد تّفاوُتٌ وأحياناً تضاربٌ في الأرقام من مؤسسةٍ إلى أخرى ومن مسحٍ إلى آخر. وهذا تأكيدٌ على وجود اختلافاتٍ في المنهجيات التي لا تنسجم مع ظاهرة القراءة المعقدة، ما يعيق بناءً تصوّر واضح وموضوعي عن حال القراءة في دولٍ معنيّة؛ ويجعل المقارنة فاقدةً لأسسها ومشروعيتها المنهجية. أضف إلى ذلك أنّ التسميات والمفاهيم تختلف من دولةٍ إلى أخرى، إلى درجة تجعل المقارنة المباشرة بين التسميات المستعملة في مختلف هذه الدول أمراً مستحيلاً في الغالب³⁸.
- الجوانب الوصفية والطابع الكمي: تقتصر غالبية المسوحات على جوانبٍ وصفيةٍ مهمّة، لكنّها لا تُحوّل فهم الواقع وتشخيص المعوقات المتعلقة بالقراءة؛ وبالتالي لا تساعد على إحداث التغيّر المطلوب. فالأهمّ

من معرفة ما إذا كان العربيُّ يقرأ أو لا يقرأ، ومعرفة كم يقرأ، هو البحثُ في أسباب ذلك؛ لكي يُتدارك ما يجب تداركه ويُعزَّز ما يجب تعزيره. وهذا لن يتحقق إلا عبر دراساتٍ وقياساتٍ تَخُوص في عمق السِّياق وتستجلي المتغيِّرات التي تحكمه. ويؤخِّد أيضاً على الأبحاث الحالية في مجال القراءة طابعها الكمي الذي يُركِّز على البصمات ومواطنِ الثقل، عوضَ البحث عن التأثيرات الجديدة والهامة التي تُعمِّق البحث؛ مثل الخاصيات الشخصية للقارئ والاختلافات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، خلال رصد المستويات الثقافية³⁹.

- الأشكال الجديدة للقراءة: لا أحد اليوم يُنكر الغزو الكاسح للوسائط التكنولوجية وتأثيرها العميق في فعل القراءة؛ وهذا يجعل بالضرورة كلَّ قياسٍ للقراءة لا يأخذ بعين الاعتبار الأشكال الجديدة للمحامل الإلكترونية قياساً منقوصاً لا يعكس الوجوه الجديدة لفعل القراءة، وحقيقة حجمها وتأثيراتها في اكتساب المعرفة. لكنَّ يلاحظُ ضعفُ اهتمام قياسات القراءة بالقراءة الإلكترونية: ما مدى انتشارها؟ ما مادُّها الأساسية؟ كيف تتفاعل مع القراءة الورقية؟ هل حقاً أفادت المعرفة أم أساءت إليها؟ أسئلةٌ كثيرة لا تُوجد لها إجاباتٌ في الأرقام المتداولة حول القراءة في المنطقة العربية، وربما أيضاً في العالم. فإحدى الكاتبات الأكاديميات تُشير في هذا الصدد إلى أنَّ "القراءة الحرة ساء وضعها خلال السنوات القليلة الماضية بسبب انجذاب الجمهور نحو وسائل التواصل الاجتماعي في الفضاء الإلكتروني... ولكن يبدو أن حتى هذه القراءات باتت محدودة وأن الكثيرين استبدلوها بقراءة الـ140 حرفاً التي تبث من خلال التفرغ على موقع التواصل الاجتماعي الأخبار والشائعات والعديد من المعلومات غير الدقيقة وليست كافية لإثراء الثقافة العامة"⁴⁰، مؤكدة الحاجة إلى دراساتٍ تستجلي هذه المسألة.

- خلفية نشر الأرقام المربكة: مع الإقرار بتراجع القراءة في العالم العربي، ثمة مثقفون وباحثون كثر يرفضون اعتبارَ هذا التراجع 'أزمة'؛ ويحذرون من مغبة التسليم بما يُنشر من أرقام، وبنناء استخلاصاتٍ محيطة حول اتجاهات المواطن العربي نحو القراءة. ويرون أنَّ هناك بؤادر 'صحة' خاصة منذ الأحداث التي شهدتها بعضُ الدول العربية في عام 2011؛ حيث تجلَّت في "ازدياد إقبال الشباب على نوادي الكتب الإلكترونية وأشهرها goodreads الذي يناقشون عبره ما قرأوه طوال العام"⁴¹. وسمحت المواقع الاجتماعية ومواقع الصحف، وعملياً تحميل الكتب والأعمال الإبداعية والفنية إلكترونياً، بخلق شرطٍ حيويٍّ للقراءة. وتساءل آخرون عن خلفية نشر تلك الأرقام المربكة حول القراءة في العالم العربي، والإصرار على ترديدها في كل المحافل رغم عدم دقتها. فقد نشرت صحيفة الخبر الإلكترونية مقالاً مترجماً، جاء فيه: "من الغريب حقاً أن تكون احصائية كهذه وبهذا القدر من الرواج بلا مصدر موثوق وما هو أكثر غرابة هو تكرارها من قبل العديد من المثقفين. ظلت هذه الإحصائية مدار ألسن الكثير لسنين طويلة، التي رغم اختلاف الدوافع وراء نشرها واستخدامها دائماً ما كانت لتصل لذات الهدف ألا وهو تصوير العرب بالرجعية والتخلف، ولا أدل من هذا غير قرن هذه الاحصائية بأرقام مذهلة للآخر المميز سواء كان أوروبا أم أميركياً"⁴².

انطلاقاً مما سبق، يُستخلص أنَّ الأبحاث المقارنة حول الممارسات الثقافية ومستوياتها، رغم شيوع الأرقام والإحصائيات حولها، لا تزال في مهدها، ولم تنمو بعد بالشكل الدقيق والموضوعي، حتى خارج المنطقة العربية.

بيد أن الوعيَ بحدود الأرقام والاحترازمات المنهجية التي تحوم حولها، يجب ألا يَمنع الاعترافَ بأن وضع القراءة في المنطقة العربية غير مُرضٍ ويستدعي إعمال النظر في هذه الأرقام بجدية على ما فيها من محاذير، والتعامل معها؛ لا على أساس أنها حقائق لا يرتقي إليها الشك، بل كأعراض أولية تحتاج إلى فحصٍ جدي وتشخيصٍ دقيقٍ بوسائلٍ أكثرَ موضوعيةً، تُمكن من الاهتداء إلى جذور الخلل، والأساليب الكفيلة بتقويمه. فالفجوة المعرفية القائمة في بلدان المنطقة والحاجة الأكيدة إلى ردمها، إلى جانب التحديات التي تواجهها في مسيرتها نحو كسب رهان التنمية الإنسانية المستدامة القائمة على المعرفة، تجعل من مسألة القراءة مدخلاً حيويًا لا غنى عنه؛ بل هي مسألة وجود، لأن أي إهمالٍ في القراءة أو عزوفٍ عنها سيؤدي حتمًا إلى تفاقم مظاهر الفجوة المعرفية والتخلف عن ركب الحضارة. فإهمال الإنسان العربي للقراءة لا يهدد كيان شخصيته فحسب، وإنما يهدد أيضًا أمته، بحدوث عواقب خطيرة في حاضره ومستقبله؛ كفقدان الهوية وضياع الموروث التاريخي الأصيل، وضمور الأمة وعجزها عن إنتاج المعرفة وبناء القدرات والمهارات المكيّنة في التصنيع والإنتاج وتحقيق الأداء المتميز. ويقتضي تدارك الانتكاس الاهتمام بظاهرة القراءة ومشكلاتها، وطرح التساؤلات العلمية والموضوعية حول أسبابها وسبل تفادي آثارها السلبية؛ إذا كانت هناك إرادة حقيقية لدى صانعي القرار والجهات المعنية للعمل والتغيير في اتجاه تنمية مستدامة، تكون المعرفة محورًا ويكون الإنسان العربي مركزها.

مبادرات عربية كثيرة للنهوض بالقراءة في المجتمعات العربية

عرفت الحضارة العربية صحوات فكرية كانت خلالها القراءة نهجًا لها، استوعبت من خلالها أصناف العلوم وطورتها وأبدعت في فنونها؛ فكان إنتاجها الفكري موفورًا، يُنسب إلى أعلامها. لكن بسبب عوامل عديدة لا يتسع المجال لشرحها في هذا التقرير، دخل العالم العربي في شبه سباتٍ معرفي جعله يتخلف عن ركب الحضارة ويعيش أشكال فجواتٍ مختلفة لا يمكن ردمها والانعقاد من أسرها؛ إلا بصحوة جديدة بقيادة "اقرأ"، تُوقظ وعيه وتدفعه إلى الانخراط الإيجابي والفعال في بناء الحضارة الإنسانية. ولعل مختلف المبادرات التي تشهدها بعض الدول العربية منذ عهد قريب بشائر هذه الصحوة وأولى الخطوات نحو سدّ الفجوات وتجاوز القصور. ومن المبادرات لتشجيع الطلاب على القراءة، مبادرة "نحن نحب القراءة" التي انطلقت من الأردن لتعم العديد من الدول العربية الأخرى (مصر، والسعودية، وفلسطين، وتونس، ولبنان، والعراق، وقطر، والإمارات)، ومشروع "عربي 21" لمؤسسة الفكر العربي، إلى غير ذلك من المبادرات التي تؤشر إلى حركة نشطة في فعل القراءة.

في هذا الصدد، رصد موقع 'بيرق' في لوحات بعنوان "مبادرات القراءة التي تعطي مؤشرات عن ازدياد الاهتمام بالثقافة" مؤشّر مجموعة من المبادرات العربية ذات الصلة المباشرة باستنهاض القراءة، بينها:

- "أنا عراقي.. أنا أقرأ": حملة أطلقها شباب عراقيون سنة 2012 "لكسر القطيعة بين المجتمع العراقي والقراءة". وكانت البداية على مواقع التواصل الاجتماعي نشر الكتب الإلكترونية والتفاعل الافتراضي حول كل كتاب بطريقة جاذبة، ووضع قوائم مطوّلة مفرّسة لعناوين الكتب العالمية والعربية. ثم تطوّر الأمر إلى تنظيم تجمّع شبابي في مقهى وسط بغداد، والعمل على مشاريع تفاعلية واقعية منها: مجالس قراءة

كتب في الهواء الطلق، وفِرَّقُ جِوَالَةَ فِي بَغْدَادِ تُوزَعُ الكُتَبَ على سيارات الأجرة، والإعلان عن أماكن تجمُّعٍ للقراءة في حدائقٍ معيَّنةٍ أو مواضعٍ عامَّة.

- "مدينتي تقرأ": مبادرة ثقافية اجتماعية انطلقت من ولاية الرُّستاق في سلطنة عُمان لتشجيع القراءة والمطالعة الحرة بهدف خلق مجتمع قارئ. من نشاطاتها: توزيع مكتبات متكاملة في مؤسسات حكومية حيث تكون هناك أوقات انتظارٍ على الفرد أن يقضيها، وإقامة معارضٍ للكتب المستعملة، وتأسيس أول مكتبة متنقلة متخصصة للأطفال، وحملة لإقامة مكتبة عامة في ولايتهم.

- "القراءة لأجل المكفوفين": مبادرة إنسانية خيرية انطلقت ضمن مشروع "التحدي الكبير للقراءة" برعاية وزارة التربية والتعليم في الأردن من أجل توفير حق الاستمتاع والتعرف والحياة لمن حرموا نعمة البصر. من أنشطتها تنظيم حفل تجمع فيه عددًا كبيرًا من الأطفال المكفوفين لقراءة القصص الإنكليزية على طريقة برايل؛ و"مشروع الكتب الصوتية" التطوعي الذي يمكن أن يشارك فيه أي شاب؛ بتسجيل نصوص أو قراءة كتب على الهاتف النقال أو الحاسوب، وإرسال التسجيل إلى الموقع ليتمكن المكفوفون من سماعه.

- "ألوان": مشروع أطلقه المركز الثقافي للطفولة في قطر تحت شعار "لون حياتك بالقراءة"، يتمثل في تجهيز وتصميم حافلة "لتكون شكلاً غير تقليدي لصورة المكتبة في ذهن الطفل ونمطاً تفاعلياً للقراءة المرتبطة بالمتعة والمرح، ومكتبة متنقلة مع الطفل وإلى الطفل؛ حيث كان"، كما ذكر المدير العام للمركز. وتحتوي هذه المكتبة المتنقلة على أجهزة حواسيب للورش التفاعلية وإصداراتٍ من مختلف دور النشر تناسب الفئة العمرية من 3 أعوام إلى 11 عامًا، بما فيها قصص ألفها أطفالٌ قطريون.

إلى جانب ذلك، بادرت بعض الدول العربية إلى تنظيم معارض الكتب المستعملة والخيرية؛ وهي فكرة استثمارية تُوفّر الكتب بأسعارٍ منخفضة ومناسبة للشباب الصاعد. من أمثلة ذلك، معرض الكتب المستعملة في عُمان ضمن فعاليات "مدينة عمان تقرأ"، ومعرض الكتاب الخيري في الرياض الذي أتم موسمه الثامن هذا العام، ومعرض الكتب المستعملة في الدار البيضاء، ومعرض 'نون' للكتاب المستعمل، وغيرها. وبادرت دول أخرى، مثل تونس ومصر، إلى إنشاء مكتبات متنقلة تتمثل في تزويد حافلاتٍ كبيرة بمجموعة ضخمة من الكتب المختارة والمميّزة، وتمرّ دورياً على الأحياء والمناطق الفقيرة والنائية التي لا توجد فيها مكتبات.

على أهمية هذه المبادرات وغيرها، تبقى مبادرة "تحدي القراءة العربي" الطموحة التي أطلقها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، والتي خلقت حركة قرائية هامة في كل الدول العربية من أكبر المبادرات في التاريخ المعاصر لتشجيع الطلاب على القراءة؛ من خلال التزام أكثر من مليون طالبٍ على مستوى الوطن العربي المشاركة في قراءة خمسين مليون كتابٍ خلال كل عام دراسي. ويأخذ هذا التحدي شكل منافسة للقراءة باللغة العربية يُشارك فيها الطلبة من الصف الأول الابتدائي وحتى الصف الثاني عشر من المدارس المشاركة عبر العالم العربي؛ وتبدأ من شهر أيلول/سبتمبر كل عام حتى شهر آذار/مارس من العام التالي؛ يتدرّج خلالها الطلاب المشاركون عبر خمس مراحل،

تتضمّن كلُّ منها قراءةً عشرة كتب وتلخيصها في جوازات التحدي. وبعد الانتهاء من القراءة والتلخيص، تبدأ مراحل التصفيات وفق معاييرٍ معتمّدة تجري على مستوى المدارس والمناطق التعليمية، ثم على مستوى الدول العربية؛ ووصولاً إلى التصفيات النهائية التي تُعقد في دبي سنوياً خلال شهر تشرين الأول/أكتوبر.

وتكمن أهمية هذا المشروع الخلاق في سعيه إلى تنمية حبّ القراءة وغرس جذوتها لدى الناشئة في العالم العربي حتى تصبح عادةً متأصلة في سلوكهم؛ تُوسّع مداركهم الفكرية، وتُعزّز فضولهم المعرفي، وتعمل على إكسابهم طرائق التعبير وأساليب التواصل الفعّال، وممارسة أمّاط التفكير التحليلي النقدي. وهو مشروعٌ يروم كذلك "استخدام اللغة العربية كلغة فكر وعلم ودين وأدب وهوية في القرن الحادي والعشرين". وهذه رؤيةٌ فلسفيةٌ سديدة، منطلقتها، كما قال الشيخ محمد بن راشد، أنّ "القراءة هي مفتاح المعرفة.. والمعرفة هي مفتاح النهضة الحضارية، وتعزيز الانفتاح المعرفي والثقافي يبدأ من الطفولة، وغرس حب القراءة في نفوس الصغار هو غرس لأسس التقدم والتفوق لبلداننا"⁴³.

أهمية بناء مؤشر عربي للقراءة

في ضوء أهمية القراءة كأداةٍ لاكتساب المعرفة ووسيلةٍ التواصل البناء مع الإبداع المعرفي، في مختلف أوجه الفكر والعلم والثقافة الإنسانية، تفرض الضرورة وضع آليةٍ قياس عربية لرصد واقع القراءة في الدول العربية؛ تتميز بالقدرة على تشخيص عوائق القراءة. ومن خلال هذه الآلية تُوضع خططٌ واستراتيجياتٌ شاملة تتكامل فيها الأدوار ويتعزّز التعاون بين الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمراكز الثقافية؛ الكفيلة ببناء جيلٍ مثقّف، محبّ للقراءة، قادرٍ على المبادرة والبناء. فمن شأن ذلك إنضاج شروط الولوج في مجتمع المعرفة، وإعداد مواطنٍ قادرٍ على التواصل الصحيح والتفكير بلُغته، وتوظيفها في القرن الحادي والعشرين كلُغة فكرٍ ودينٍ وعلمٍ وأدبٍ وهويّة. من هذا المنظور، تُعدّ مكانة القراءة والأهمية التي تحتلها في المجتمع مؤشراً مهماً من مؤشرات تقدّمه وتطوّره. تبعاً لذلك، فإنّ بناء مؤشرٍ للقراءة، يخصوص في واقع القراءة في الدول العربية لتحديد منسوب القراءة فيها والعوامل المتحكّمة بهذا المنسوب، يُشكل خطوةً جديةً هامة في اتجاه استعادة مجد القراءة في المنطقة ودورها في تحقيق نهضة فكرية، وتمكين مجتمعي، وتنمية مستدامة.

ومن المهمّ أن تأخذ هذه المؤشرات بعين الاعتبار خصوصيات المجتمعات العربية وتستكشف اهتماماتها ومشكلاتها الخاصة، وكذلك مكتسباتها المعرفية وغنى ثقافتها وتنوعها وتعدّد أساليب تعبيرها؛ سعياً إلى تعزيز مكانة القراءة واكتساب المعرفة، ورصد حال كل دولة عربية وواقعها، والوقوف على ما تبذله من جهدٍ لتحديّ آفة العزوف عن القراءة ومشكلاتها، وتجاوز القصور والمعوقات. وهذا يتطلب الابتعاد قدر الإمكان عن أشكال الرصد والقياس التّمطيّين وصيغهم، لأنّ الهدف الأساسي من هذا المؤشر ليس وضع تصنيفات ومنح مراكز للدول العربية، بقدر ما يُرام أن يكون بوصلةٍ تقود نحو سبل إدراك أوجه القصور؛ للتغلب عليها، وتعبيد الطريق، ورسم الخطط والاستراتيجيات الكفيلة بردم الفجوات المعرفية، والتغلب على مواطن الخلل. ويتحقّق ذلك عبر إجراء تحليلاتٍ واعية واتخاذ قراراتٍ مستنيرة، للتوجه نحو الانخراط في مجتمع المعرفة الذي يبنى اقتصاده على امتلاك الاقتدار المعرفي.

مما لا شك فيه أنّ وجودَ مثل هذا المؤشر العربي للقراءة، المبنيّ على أُسسٍ منهجيةٍ وموضوعيةٍ والمستمدّ لمقوماته من البيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية العربية، من شأنه المساهمة الإيجابية والفعّالة في رُصد مستويات التنمية الثقافية في الدول العربية. وتهدف هذه المساهمة إلى خلق بيئة تنافسية تحفز القادة وأصحاب القرار، وتوضح أمامهم خريطة الطريق للوصول إلى تحقيق المكانة اللائقة للقراءة وعمقها الحقيقي في المجتمعات العربية. فالساحة العربية تفتقر إلى دراساتٍ جادّةٍ ومستجيبةٍ للشروط العلمية والمنهجية تسمح بالوثوق في نتائجها، والاستناد إليها لوضع خططٍ واستراتيجياتٍ فعّالة للنهوض بالقراءة، واستعادة مجد علاقتها بالمعرفة. في هذا الصدد، تقول إحدى الناقدات:

"تعودنا عند الحديث عن القراءة في الوطن العربي، أن تنتقل بسرعة إلى توصيف القراءة بالأزمة. ومن ثمّة، يبدأ الحديث عن أسباب الأزمة، وغياب ثقافة القراءة باعتبارها فعلاً اجتماعياً، وعلاقة ذلك بالمنظومة التعليمية، وربما، يعود استهلاك نفس المقاربة، إلى "شبه غياب" مراكز بحثية تهتم بسؤال القراءة بشكل علمي، عبر دراسة ميدانية، تمدنا بمؤشرات مادية عن وضع القراءة في العالم العربي، وهو الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاهتمام بمراكز البحث، من أجل التطور في السؤال، وفي طريقة التفكير في قضايا شائكة"⁴⁴.

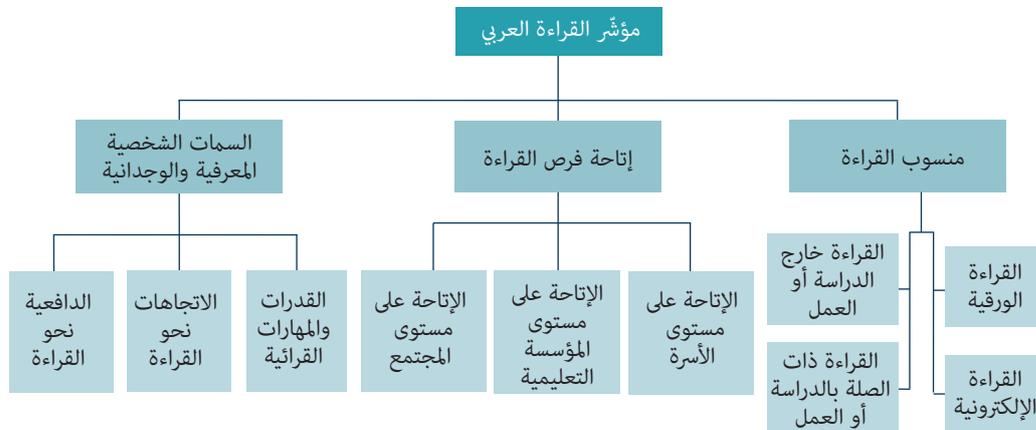
عرض المؤشر: المحاور ومبررات اختيارها

منسوب القراءة

يُشار أولاً إلى أنّ لفظ 'منسوب' يُفيد لغةً المستوى، أو المعدّل؛ فيقال منسوب المياه، أو منسوب البحر للدلالة على مدى الارتفاع الذي يصل إليه، مثلما يقال أيضاً منسوب القدرة. ويُقصد بمنسوب القراءة 'حجم المقروء' في فترة ما، ويمكن أن يُقاس إجرائياً بعدد الكتب أو الصفحات، أو بعدد الدقائق التي يقضيها الفرد في القراءة،

الشكل 1:

تركيبية مؤشر القراءة العربي



يوميًا أو أسبوعيًا أو سنويًا. فهي محاولة لمعرفة كمية ما يُقرأ في فترة ما، باعتماد وحدة قياسٍ موحدة تسمح بإجراء مقارناتٍ في الزمان والمكان.

إلا أن اهتمام هذا المحور لن يتوقف في حدود المعلومات الكمية، بل يهتم أيضًا بالأبعاد النوعية المتعلقة بالمقروء؛ من خلال التمييز بين ما هو مرتبط بالمقررات التعليمية وما هو خارج نطاقها، إلى جانب سبر أنواع القراءة والمواضيع التي تحظى بإقبال أكثر من غيرها. فالأهم من أن يَحصر مؤشّر القراءة كم يقرأ المواطن العربي، هو أن يكشف ماذا يقرأ تحديدًا؛ إذ ربّ صفحة من كتابٍ قيّم أنفع بأضعافٍ من عشرات الكتب 'التافهة' أو 'السطحية' التي تُعمّق حالة الجهل بدلًا من أن تُنير العقل. وبالنظر إلى الانتساح الهائل للرقمنة، فإن مجال هذا المحور يتسع لشمّل كل أنواع المستندات الرقمية أو الإلكترونية؛ حيث انتشرت في السنوات الأخيرة مكتبات إلكترونية تُوفّر كتبًا إلكترونية يمكن قراءتها من خلال الحواسيب الشخصية أو الهواتف النقالة، أو أجهزة مخصصة لقراءة الكتب الإلكترونية تُعرف بمقارنات الكتب الإلكترونية⁴⁵.

إتاحة فرص القراءة

من البديهي أن الإنسان لا يُولد قارئًا، ولا يمكن أن يكتسب عادة القراءة، إذا لم ينشأ في بيئة تحتضن الكتاب وتُحبّه إليه؛ وإذا لم يجد أمامه، في الأسرة أو في المدرسة، قدوة تُحفّزه على القراءة والمداومة عليها. لذلك لا يمكن معالجة قضية القراءة في المنطقة العربية، وفهم ما يسمّيه بعضهم "أزمة" وبعضهم الآخر "إعاقة"، إلا بتشخيص ما تُتيحه البيئة العربية من فرص سانحة لربط الصلة بالمؤلفات وجعلها في متناول الجميع. فحبّ القراءة، كي ينمو ويتوطن كسلوك يومي لدى الفرد، يحتاج إلى مناخ ملائم يُغذيه ويستنهضه حين يفتقر. من هذا المنطلق، يبدو من الضروري لمؤشّر يروم تسليط الضوء على واقع القراءة في المنطقة العربية أن يفتح نافذة على مستوى الإتاحة المتوفّر في كل دولة. وارتأى فريقُ التقرير تناول هذه الإتاحة على ثلاثة مستويات متكاملة، هي التالية:

مستوى الأسرة

لا شك في أن هناك عوامل عديدة وراء عزوف المواطن العربي عن القراءة، بينها تفشي الأمية والجهل وارتفاع نسب الفقر والبطالة؛ لكن كل ذلك لا ينفي الدور التربوي الذي يمكن أن تُؤدّيه التنشئة الأسرية في تعزيز ثقافة القراءة، ووضع أسس علاقة حميمة وممتعة بالكتاب. غير أن المتأمل في الواقع العربي يلاحظ أن أول تجربة للطفل مع الكتاب تكون في الغالب تجربة الكتاب المدرسي وما يُصاحبها من مشاعر سلبية بسبب طابعها الإلزامي واقتنائها بفكرة تأديّة الواجبات، ورهان الامتحان والنجاح المدرسي؛ ما يُنمي لديه نفورًا من الكتب ويجعل علاقته بالقراءة نفعيّة بحتة.

في هذا الصدد، استطلعت مجلة "ذوات" آراء مجموعة من الكتاب والمثقفين العرب حول أسباب "الأزمة في القراءة"، فجاءت الإجابات مؤكدة على الدور المفصلي للآباء والأمهات وما يتحمّلونه من مسؤولية في عزوف الأبناء عن القراءة. ويعود ذلك إلى عدم اهتمام الوالدين بالقراءة لأنفسهم ولأبنائهم، وكذلك بسبب خلوّ

البيوت من المكتبات. والحال أن "وجود المكتبة في البيت محفز شاخص لساكنيه كي يكتشفوا سر وجوده، مما أدى إلى نشوء أجيال تجتنب الكتاب وتميل كل الميل إلى ما يساير أهواءهم"⁴⁶. فلما كانت تربية الأبناء مسؤولية الأسرة بالدرجة الأولى، خصوصاً في سنوات الطفولة الأولى حيث تُوضع القواعد الأساسية لميوله واتجاهاته، فإن وجود الكتاب في البيت أمرٌ لا غنى عنه حتى يألفه الطفل وتُصبح له مكانةً في عالمه؛ فتنمو لديه عادة القراءة والمطالعة، ويزداد فضوله في مجالاتٍ متنوعةٍ جداً⁴⁷.

مستوى المؤسسة التعليمية

إن دور المدرسة في تنشئة الطفل وتربيته وتثقيفه لا يقل أهمية عن دور الأسرة، ولذا تتحمل المدرسة قسطاً كبيراً من المسؤولية في ما آل إليه وضع الكتاب والقراءة في الدول العربية. وليس عبثاً أن يُطرح السؤال بجديّة: ماذا قدّمت المؤسسات التعليمية خدمة للكتاب؟ ما الممارسات والوسائل التي سخّرتها ليُصبح فعل القراءة رغبةً يُقبل عليه الطفل طلباً للفائدة والمتعة، لا خوفاً من العقاب أو طمعاً في الحصول على علامةٍ جيّدة؟ هل تهيأت فيها الفضاءات الجاذبة والقنوات الحسنة الضرورية لإعداد قارئٍ ناضج ينهض بمجتمعه ويلاحق التطورات الحديثة؟ لا شك في أنّ المدرسة لا يمكنها العمل بمعزلٍ عن محيطها، وأنّ جهودها تتكامل مع جهود الأسرة والمجتمع ككل؛ لكنّ مسؤوليتها تكون أعظم في المجتمعات التي تزداد فيها نسب الأمية والفقر، أو تعجز فيها الأسرة عن أداء رسالتها بالكامل. لذلك تبقى الإتاحة المدرسية حاسمةً في تعليم الأطفال القراءة وتحفيزهم عليها، وتوجيه ميولهم القرائية؛ وهذا ما يُبرر اعتبارها أحد محاور مؤشّر القراءة العربي.

والحديث عن الإتاحة في المدرسة هو حديثٌ عن المنظومة التعليمية بأكملها، وأدوار العناصر المُكوّنة لها من مدرّسين ومناهج وإدارةٍ مدرسية وتجهيزاتٍ وغيرها؛ ولكلّ مُكوّن من هذه المُكوّنات دورٌ مهمٌ ينبغي أن يقوم به في تنمية الميول القرائية لدى التلاميذ. فالمكتبة المدرسية، مثلاً، تُعتبر أول فضاءٍ عامٍ يُصافح فيه الطفل أزوقة الكتب. وكل ما يتعلّمه في تلك المكتبة حول أساليب البحث عن المصادر وانتقاء المواضيع وكيفية التعامل مع الكتب، وما يحصل لديه من انطباعٍ سلبيٍّ أو إيجابيٍّ حول عالم المكتبات، سيكون له أثرٌ عميق في علاقته بالفضاءات الأخرى ذات الصلة بالقراءة والكتب. ويُفترض كذلك بالمقرّرات التعليمية أن تُولي أهميةً أكبر للمطالعة، باعتبارها وسيلةً أساسيةً لتنمية المعرفة الشاملة في عصر الانفجار المعرفي. لكنّ هذه المقرّرات تُحوّل المدرسة في كثير من الأحيان إلى "مؤسسة تعلم الأطفال كراهية القراءة والكتابة؛ لأن المناهج السائدة تلقينية بالدرجة الأولى قائمة على الإكراه. وسرعان ما يتعلم الطفل في المدرسة كراهية المعرفة والكتابة والقراءة؛ لأن كل ما يوجد في المدرسة ترويضاً تلقينياً يقوم على الإكراه، تفقد المدرسة كل متطلبات الجاذبية والتشويق"⁴⁸.

المستوى المجتمعي

إنّ التأكيد على أهمية دور الأسرة والمدرسة في إتاحة الظروف التي تُؤازر الإقبال على القراءة لا يُغفل مسؤولية الدولة في ذلك؛ إذ تأمينُ غذاء العقل والروح لا يقل أهميةً عن إشباع البطون. بالتالي يجب

ألا يدفع الانشغال بتلبية الحاجات الأولية للمواطنين الحكومات إلى إهمال حاجة الأطفال إلى الانعتاق من حالة الجهل والجمود الفكري، للارتقاء بدواتهم وعقولهم إلى عوالم المعرفة الواسعة؛ حتى يكونوا أفراداً فاعلين في نشر الوعي وتحقيق نهضة ثقافية في المجتمع. ويكفي إلقاء نظرة على المجتمعات التي بوّأتها الدراسات الصادرة في مجال القراءة لتبيّن حجم الاهتمام الذي يُحيط بالقراءة والكتاب على أعلى المستويات. ويتجلى هذا الاهتمام في ما يتوفّر من بنى تحتية (كمكتبات عامة، وحجم المقتنات من الكتب والمؤلفات، وغير ذلك)، وما يتخذ من إجراءات (كالضغط على أسعار الكتب، وتنظيم مسابقات، والقيم بحملات لتبادل الكتب، وما شابه ذلك). ويتجلى أيضاً في برمجة ومضات إعلانية دائمة في وسائل الإعلام تُعرّف بالكتب الجديدة، وعقد ندوات فكرية لمناقشتها، إلى جانب مواعيد دورية لمعارض الكتب وغير ذلك من الإجراءات والمبادرات التي تصبّ في اتجاه التحفيز على القراءة. واعتباراً لكل ذلك، كان لا بدّ من توجيه مجهر مؤشّر القراءة العربي إلى حجم الإتاحة التي تُوفّرها الجهات المسؤولة في الدولة (على رأسها وزارات الثقافة)، ومؤسسات المجتمع المدني، لغرس عادة القراءة في المجتمع وتمتين العلاقة بالكتاب.

في خصوص العوامل المتعلقة بالإتاحة في المنطقة العربية، يرى بعض المثقفين أنّ المكتبات العامة باتت فضاءات مهجورة لا بسبب غزو الإنترنت فحسب، ولكن أيضاً من جرّاء الإهمال الذي تشهده أغلب المكتبات من سوء تنظيمها، وعدم تزويدها بالجديد من الصادرات، وعدم تطوير أساليب إدارتها وفقاً لمقتضيات عصر التكنولوجيا. ويعزو بعضهم الآخر وضع القراءة المتدنّي في المنطقة إلى تقصير وسائل الإعلام في التحسيس بأهمية الكتاب والقراءة، وإلى غياب الإعلانات الدعائية للموادّ التثقيفية مقارنةً بالموادّ الاستهلاكية. وذهب أحدهم إلى اعتبار أنّ "الثقافة السائدة في العالم العربي شفوية، لم تُبدل جهود كافية لتحويلها إلى ثقافة مكتوبة، لردم الهوة بين ما يُسمّى "الثقافة الرفيعة" وبين "الثقافة الشعبية"، إضافة إلى عدم العدالة في توزيع المنتجات والموارد الثقافية ما يجعل من الثقافة المكتوبة نوعاً من امتياز طبقي، وسلطة ناعمة توازي السلطة الفظة وتساندها"⁴⁹. وأضاف آخر "أنّ وزر انحسار القراءة يتحمّله كتاب وناشرون آثمون لا يقدمون لنا ما يستحق أن نجتهد لمتابعتهم، بالإضافة إلى ارتفاع سعر الكتاب الذي يستحق القراءة متزامناً مع عسر الحياة بتفاصيلها اليومية"⁵⁰. ويردّف ثالث "نعم، نحن شعوب عربية غير قارئة"، مرجعاً ذلك لأسباب أهمّها، "على سبيل المثال لا الحصر، تفشي الأمية، فضلاً عن الفقر الذي يلعب دوراً كبيراً جداً في عدم انتشار القراءة، فالكتب مرتفعة الثمن ودخل المواطن العربي بالكاد يكفيه لأساسيات الحياة، وحتى المتعلمون يعانون من البطالة وشظف العيش، وهمهم أن يجدوا فرصة عمل، حتى إذا ما وجدوها حصلوا على راتب ضئيل لا يمكنهم من أساسيات الحياة"⁵¹.

السمات الشخصية: القدرات والاتجاهات والدوافع المرتبطة بالقراءة

جاء في بحث أكاديمي مشترك أنّ القراءة عملية ديناميكية تتطلب توازناً عقلياً ونفسياً وجسماً، وكلّ اضطراب يطرأ على الشخص يؤثر سلباً في كفاءته القرائية. وتعتبر العوامل النفسية الأكثر تأثيراً في القراءة، فدافعية الفرد واتجاهاته نحو القراءة والكتاب، وتصوراتها حول ذاته وحول القراءة، وقدراته وتجاربه السابقة في تعلّم القراءة كلّها متغيّرات تتدخل في تحديد شكل العلاقة التي ينميها الفرد مع القراءة.⁵²

ولأهمية هذه العوامل، حظيت القراءةُ باهتمام كبير في مجال علم النفس، وظهرت عدّة دراساتٍ حول "سيكولوجية القراءة". وقد اهتمت هذه الدراساتُ على نحوٍ خاصٍّ بالقدرة القرائية، والدافعية نحو القراءة، والاتجاهات والتصورات بشأن القراءة؛ مؤكّدةً على ضرورة معالجة مشكلاتها، في ضوء تفاعلها مع الخاصّيات الشخصية للفرد. لذلك أُدرج هذا البعدُ في مؤشّر القراءة، علّه يساعد على فهم أكبرٍ لمُعيقات القراءة. ولسوف يُسلطُ الضوءُ على ثلاث خصائص: القدرات والاتجاهات والدافعية. فالإنسانُ يقرأ ويُطالع إذا كانت لديه القدرةُ على القراءة، واتجاهاتٌ إيجابية نحوها؛ لكنّ القدرةُ والاتجاهاتُ الإيجابية لن تتحوّل إلى فعل القراءة، إلا إذا توفّرت الدافعيةُ إليها.

- القدراتُ القرائية: محدّداتٌ رئيسية لنجاح عملية القراءة، وهي وثيقةُ الصلة بخصائص العمليات الذهنية والنفسية كالتهيؤ والتفكير، والذاكرة، والانفعالات، وغيرها. ويُقصد بذلك "القدرة على التعامل مع النصوص المتنوعة (أي العبارات والفقرات المتصلة، وتدعى معرفة القراءة والكتابة النثرية، والنصوص التخطيطية كالموجودة في الخرائط والاستمارات والجداول الزمنية، وتدعى معرفة قراءة وكتابة المستندات)"⁵³. وقد شاع في الحقبة الأخيرة استخدامُ مفهوم القرائية كـ"حق من حقوق الإنسان وركيزة عملية التعلّم مدى الحياة. فهي تزود الأفراد والأسر والمجتمعات بما يلزمهم من قدرات وطاقات وتحسّن نوعية حياتهم. وتسهم القرائية بفضل الأثر المضاعف المترتب عليها في القضاء على الفقر، وخفض معدلات وفيات الأطفال، والحد من النمو السكاني، وتحقيق المساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة والسلام والديمقراطية"⁵⁴. ووُضعت للقرائية مؤشّراتٌ لتتبّع تطوّرها ومقارنتها بين الدول، وتكاد تكون حاضرةً في كل المؤشّرات المركّبة التي تهتمّ بالتعليم والتنمية بصورةٍ عامّة. وبما أنّ من غير الممكن تناول واقع القراءة دون تسليط الضوء على القدرات القرائية، فلا مناصّ من إدراج متغيّرات ذات صلةٍ بالقرائية في مؤشّر القراءة العربي. وهنا سيُميّز بين القدرة على القراءة والكتابة (محو الأمية) وبين المهارة القرائية التي تشمل قراءة النصوص المكتوبة واستيعابها ونقدّها، واستخدامها في تنمية المعرفة.

- الاتجاهاتُ نحو القراءة: الاتجاهُ عموماً "مكوّن لا شعوري للفعالية النفسية يتجلى في البنية الخاصة للشخصية في الاستعداد للاستجابة على نحو معين للمثيرات والأشياء التي تلبّي حاجات الفرد"⁵⁵. ويُعرّف الاتجاهُ نحو القراءة بأنه استجابةٌ يكتسبها الطفلُ خلال تنشئته تُكوّن لديه اتجاهًا إيجابيًا أو سلبياً نحو القراءة؛ يودّي الأولُ إلى الإقبال عليها، بينما يودّي الثاني إلى النفور منها - وبهذا المعنى، يكون الاتجاهُ عاملاً مساعداً في تشكيل الدافعية نحو القراءة. وقد بيّن أحدُ الباحثين أنّ الاتجاهَ القرائي يتكوّن عند الفرد، وبخاصة مكوناته العليا المعقدة، بتأثير التربية والمعارف المستوعبة، والخبرة الاجتماعية، وكذلك بتأثير المعلومات الواردة من أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيرية. ويتحدّد اتجاه الفرد القرائي تبعاً لخصائص الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، وتبعاً للأنشطة الغالبة المميّزة لهذه الفئة، وما ينتج عن ذلك من الاتجاهات المهنية للقراءة، وبعض خياراتها الموضوعية. كما يتأثر الاتجاه القرائي بالفئة المرجعية التي ينسب الفرد نفسه إليها"⁵⁶.

- الدافعية نحو القراءة: تُعدّ الدافعية من العناصر الأساسية التي تُحرّك السلوك الإنساني وتوجّهه نحو وجهةٍ محدّدة وبشكلٍ معيّن. ويمكن أن تكون دافعيةً داخليةً تؤدّي إلى الاهتمام بموضوع ما، أو القيام بسلوكٍ معيّن لذاته أو لمتعةٍ شخصية، أو دافعيةً خارجيةً تدفع إلى إنجاز عملٍ ما أو أداء مهمةٍ من أجل الحصول على منفعة (مكافأة). وتُعرّف الدافعية إلى القراءة بأنها "رغبة الفرد المستمرة في القراءة، واستمتاعه بما يقوم بقراءته، ويتّصف هذا الفرد بالتحدي والمثابرة، وحب الاستطلاع، والمشاركة في الأنشطة القرائية، والمنافسة، والتعاون والألفة، وفعالية الذات المرتفعة"⁵⁷. وتُصنّف دوافع القراءة إلى "الدوافع الجمالية، والدوافع المعرفية، والانفعالية، والدوافع الترفيهية، وإدراك الخبرات الحياتية وغيرها. والقراءة، كغيرها من الفعاليات المعقدة، متعددة الدوافع، وهي تلبّي في آن واحد عدة دوافع فعالة، وتشكل بنى معقدة مختلفة لدى مختلف أنواع القراءة لكنها ثابتة لدى القارئ الواحد"⁵⁸.

أما في ما يتعلّق بالبيانات التي يتطلّبها تطبيق هذا المؤشر بمختلف محاوره ومكوّناته، فإنّ أغلبها غير متاح؛ وحتى المتاح منها لا يمكن الاطمئنان إليه، بسبب الاحترازات المشار إليها أعلاه. لذا جرى التفكير في وضع أداة منهجية خصيصاً لهذا الغرض، ممكّن من توفير كلّ المعطيات المطلوبة. وفي ما يلي كلّ التوضيحات المنهجية المتعلقة ببناء الأداة، وعملية جمع البيانات ومعالجتها.

منهجية استبيان مؤشر القراءة العربي

توضيحات منهجية

في ظلّ غياب بياناتٍ موثوقٍ بها ويمكن اعتمادها لاحتساب مؤشر القراءة وفق الرؤية الموضّحة أعلاه، كان لا بدّ من التفكير في وضع أداة منهجية كفيلة بتحقيق جملة تحدياتٍ أهمّها أن:

- تستجيب إلى الشروط القياسية (خصوصاً الصدق والثبات) التي تضمن الوثوق بنتائجها؛
- تستوعب كلّ المحاور التي تتضمّن تركيبة المؤشر؛
- تُساعد على تغطية أكبر قدر ممكن من شرائح المجتمع في فترةٍ وجيزة؛
- تسمّح، إضافةً إلى قياس الجوانب الكميّة لفعل المطالعة، باستطلاع ملامح القارئ الشخصية، واستكشاف تصوّراته حول مدى توافر بيئة محفّزة على المطالعة.

من هنا، كان ترجيحُ طريقة الاستبيان لقدرته على التعامل مع مجمل هذه التحديات. فطريقة الاستبيان، رغم ما تطرحه من عيوب، تظل في الوقت الحالي أكثر الأدوات استخداماً في استفتاءات الرأي العام؛ وفي الدراسات المسحية التي تهتم بالتصورات والاتجاهات والميول. ويمكنها، في حال استجابتها للضوابط المنهجية والثقافية، أن تُوفّر رصيلاً هاماً من البيانات اللازمة للخروج باستنتاجاتٍ قوية حول موضوع البحث، مع الاقتصاد في الوقت والجهد.

وصف بنية الاستبيان

في ضوء الهدف المحدد لمشروع المؤشر العربي للقراءة وأطره المفاهيمية، وبناءً على النموذج الذي انتهى إليه، وُضعت في مرحلة أولية قائمة مطوّلة من الفقرات شملت كل محاور المؤشر الرئيسية والفرعية، باستثناء المحور الفرعي المتعلق بالقدرات والمهارات القرائية؛ لكونها أبعاداً معرفية لا يمكن قياسها إلا عبر الروايز والاختبارات المقيّنة. وقد عُرضت ونوقشت داخلياً مع أعضاء الفريق المركزي لمشروع المعرفة العربي للتحقق من وجهة الأسئلة، وصدقها التواصل، وقابليتها للتفسير الكمي الذي يؤدي إلى احتساب قيمة تعكس المكانة التي تحتلها المطالعة في البلدان العربية. وأفضت مختلف هذه العمليات إلى تصميم استبيان يتكوّن من 44 فقرة، تتوزع كما يوضح الجدول 1.

الجدول 1:

توزيع فقرات الاستبيان على محاور مؤشر القراءة العربي

مؤشر القراءة (المطالعة) العربي										
السمات الشخصية للمطالع/القارئ (10 فقرات)		إتاحة فرص القراءة (17 فقرة)			منسوب القراءة (فقرة عامة، و10 فقرات)					
الداغية (5 فقرات)	التجاهات (5 فقرات)	المجتمعية (7 فقرات)	المدرسية أو الجامعية (5 فقرات)	الأسرية (5 فقرات)	حسب اللغة		حسب الوعاء/المستند		حسب المجال	
					أجنبية	عربية	إلكتروني/رقمي	مطبوع/ورقي	خارج مجال الدراسة أو العمل	مجال الدراسة أو العمل
الأسئلة من 20 إلى 24	السؤال 19 وفيه 5 فروع	السؤال 18 وفيه 7 فروع	الأسئلة من 13 إلى 17	الأسئلة من 8 إلى 12	د2	ج2	د3، 7	ج3، 6	ب3، 2	أ2، 3أ

وحتى لا يقتصر مؤشر القراءة العربي على قياس الجوانب الكمية المتعلقة بمدى الإقبال على المطالعة ومكانتها لدى المواطن العربي، أُغني الاستبيان بست أسئلة (هي 4 و5 و25 و26 و27 و28)؛ تتعلق بجوانب نوعية تساعد على زيادة الإلمام بالواقع المتشعب لفعل المطالعة في العصر الحالي.

من حيث البناء المنهجي، تتكوّن الأداة من "تقديم" يوضح إطار الدراسة وأهدافها، يليه جزء "البيانات العامة" حول المستجوب أو المبحوث، ثم جزء الأسئلة، أي فقرات الاستبيان موزعة تبعاً بحسب محاور المؤشر. وحرصاً على ضمان تجاوب إيجابي من الطلاب مع الأداة وكسباً للوقت، ارتأى الفريق المركزي للتقرير أن تكون أغلب الأسئلة من النوع المغلق؛ حيث يكتفون بوضع علامة (√) أمام الإجابة التي تناسبهم، أو مدى توفر/عدم توفر

العوامل والظروف المتحدّث عنها. وضمناً لتفادي النمطية، التي قد تدفع المستجوب إلى التعامل الروتيني مع فقرات الاستبيان، أي الإجابة الآلية دون تفكير، عمل الفريق على تنويع صياغة الفقرات (الصياغة التقنية): مع الحرص في كل مرة على توضيح طريقة الإجابة (أن يختار إجابة واحدة، أو إجابات متعددة، إلخ). ومن خلال تجريب الأداة على مجموعة من الطلبة في تونس والمغرب ومصر، تراوحت معاملات كرونباخ بين 0.61 و0.89؛ ما يؤكّد وجود درجة من الاتساق تسمح بالاطمئنان إلى النتائج التي سيُفرزها الاستبيان.

لا شك في أن تتبّع وضع المطالعة موضوع بحثي شائك تصعب مقارنته عبر منهجيات علمية صارمة كالتّي تُعتمد في عمليات قياس القدرات والمهارات. ويعود ذلك إلى ضبابية المفهوم وصعوبة اتّخاذ إجراءات بشأنه، وتعدّد أبعاد فعل القراءة (ذهنية ونفسية ووجدانية واجتماعية، وغيرها)، واتّساع رقعة الأفراد المعنّين بالظاهرة القرائية (أي كل فئات المجتمع بمختلف أصنافها). من ثمّ تصعب بلورة توافق اصطلاحيّ مشترك بين الجميع، كما يستحيل - أو يكاد يستحيل - إنجاز مسح على عيّنة تمثيلية تسمح بالخروج باستنتاجات قابلة للتعميم على المجتمع بأكمله. لكن يُمكن اعتبار هذه الصيغة من استبيان القراءة التي وُضعت خصيصاً لمؤشّر القراءة العربي لبنة مهمّة في اتجاه الحصول على قياسات أكثر دقّة وموضوعية حول واقع القراءة في المنطقة العربية. وتكمن أهميّة هذه الأداة بالخصوص في كونها:

- تركز على رؤية متكاملة حول علاقة القراءة بالمعرفة، وتُدعم بأسس علمية مستمدّة من نظريات سيكولوجية القراءة وسوسولوجيتها؛ وبالتالي تتعامل مع القراءة كمنظومة يتفاعل فيها منسوب القراءة مع مجمل العوامل الشخصية والاجتماعية والبيئات التمكينية. ومن شأن ذلك إعطاء عملية قياس فعل القراءة بُعداً ديناميكياً ودلالات نوعيّة تتجاوز الأرقام في حدّ ذاتها.

- تلمّ في الوقت نفسه بجوانب مختلفة ذات صلة مباشرة بالقراءة، ما يساعد على الخروج بصورة شاملة عن وضع القراءة ومؤثراته. ويُعتبر هذا الأمر خطوة هامة لتجاوز حدود القياسات المتداولّة حالياً، وهي أقرب إلى مجموعة أرقام معزولة ومتأثّية من مصادر مختلفة؛ تكتفي بتقديرات انبعاثية حول عدد دقائق القراءة، أو عدد الكتب المقروءة في فترة زمنية محدّدة.

- تُراعي كلّ الشروط المنهجية المتعارف عليها أكاديمياً في عملية بناء الاستبيان، بدءاً من تحديد الهدف العام، ووصولاً إلى تجريبه والتحقّق من صدقه وثباته. ومع أنّ هذا الأمر لا يُعالج نهائياً عيوب طريقة الاستبيان المعلومة، فإنه يحدّد من احتمال تسرّب أخطاء بسبب خلل في الأداة؛ الأمر الذي يُؤكّد تعاملنا مع مسألة القراءة كاستقصاء علمي، لا كمجرد سبر للآراء.

ورغم أهميّة الإجراءات المذكورة آنفاً، فإنّ هذه الأداة لا تدّعي إطلاقاً تجاوز كلّ الإشكاليات التي تطرحها الأرقام المتداولّة حالياً حول القراءة، والتي سبق تفصيلها. لكنّ من شأن استنادها إلى إطار مفاهيمي واضح ومحدّد، ومنهجية مُعلّنة متوافقة تماماً مع ما هو متعارف عليه عالمياً، أن يُضفي على نتائجها مزيداً من المصدقية، ويجعل محدّداتها مكشوفة للجميع؛ بحيث لا تُحمّل تأويلات تتجاوز مقاصدها الحقيقية.

تقنية جمع البيانات

حرصاً على ضمان أكبر عدد ممكن من المشاركين في الاستقصاء، وتَنوُّع انتماءاتهم الجغرافية وملاصحتهم التعليمية والمهنية وسماتهم الشخصية، اتَّجه الخيارُ إلى اعتماد تقنية الاستبيان الإلكتروني. ولرَفْعِ نِسَبِ المشاركة، استُعين في عملية نشره والتعريف به بعددٍ من الوجوه العربية المشهورة في مجالاتٍ مختلفة (الإعلام، الرياضة، الفن، إلخ). عبر تنزيل الاستبيان في حساباتهم الخاصة على 'تويتر' و'فيسبوك'، ودعوة متابعيهم إلى الإجابة عن أسئلة الاستبيان. وتيسيراً لعملية التفريغ والتحليل لاحقاً، رُبطَ مَلَفُ الاستبيان بِمَلَفِ 'إكسل'؛ بحيث تُحفظ كلُّ الإجابات في قاعدة بياناتٍ قابلةٍ مباشرةً للمعالجة والتحليل الإحصائي.

العينة الإجمالية

بعد استبعاد كلِّ الاستبيانات التي لم تُعبأً بالكامل أو التي تحمل إجاباتٍ تفتقر إلى الجدية، بلغت العينة النهائية للمشاركين في الاستبيان الإلكتروني 148,294 مشاركاً، بينهم 60,680 طالباً وطالبةً من مختلف المراحل التعليمية، و87,614 من غير الطلبة المنتميين إلى شرائح اجتماعية ومهنية مختلفة. وبالرغم من قصر المدة التي حُدِّدت لجمع البيانات إلكترونياً، كان التجاوبُ مع الاستقصاء كبيراً؛ وهذا في حدِّ ذاته مؤشِّرٌ إيجابي على وجود اهتمامٍ بموضوع القراءة.

المنهجية الإحصائية

تطلَّبت عملية احتساب القيمة الإجمالية لمؤشر القراءة عدداً من المراحل التمهيديّة، تمثَّلت بالخصوص في:

- تطبيع البيانات بقصد توحيدها على سلّم من 1 إلى 100، بحيث كلما ارتفعت القيمة دلَّت على تقدّم الدولة في مستوى ذلك المتغيّر أو المحور؛
- احتساب قيمة المحور الأول، منسوب القراءة، انطلاقاً من متغيّرين أساسيين هما عددُ الدقائق المَقْضِيَّة في القراءة أسبوعياً، وعددُ الكتب المقروءة سنوياً؛
- احتساب قيمة المحور الثاني، الإتاحة، بمحاورة الفرعية الثلاثة: الأسرة، والمؤسسة التعليمية، والمجتمع؛
- احتساب قيمة المحور الثالث، السمات الشخصية للقارئ، بمحاورة الفرعية الثلاثة: القدرات والاتجاهات والدافعية نحو القراءة.

ونظراً إلى عدم توفّر بياناتٍ حول المهارات القرائية، اعتمد متغيّر نسبة غير الأُميين في كلِّ دولة، باعتبارها تعكس حجم الشريحة التي تمتلك القدرة على القراءة.

في ما يتعلّق بالأوزان الترجيحية، واعتباراً لأهمية القراءة كممارسة فعليةٍ حاصلة لدى الفرد، تفرّر إسنادُ محور منسوب القراءة 40 في المئة، على أن تُوزَّع الـ60 في المئة الباقية بالتساوي بين محور الإتاحة ومحور السمات

الشخصية للقارئ. وتوزع الأوزان الترجيحية داخل كل محور بالتساوي بين محاوره الفرعية في المستوى الأول، وبين متغيراتها في المستوى الثاني.

ولدى إخضاع كل هذه الهيكلية إلى مجموعة معالجات إحصائية للتأكد من سلامتها، كشفت النتائج عن وجود اتساق كبير بين مختلف مكونات المؤشر في جميع مستوياتها. فقد بلغت معاملات ألفا كرونباخ 0.970 في محور منسوب القراءة، و0.984 في محور إتاحة فرص القراءة، و0.851 في محور السمات الشخصية للقارئ.

نتائج مؤشر القراءة وتحليلها

يتركز هذا القسم من التقرير على عرض النتائج التي كشف عنها مؤشر القراءة العربي وفق التمثلي التالي:

- الإنطلاق بتقديم نتائج المحاور الرئيسية التي يتركز عليها مؤشر القراءة، بدءاً بمحور منسوب القراءة، مروراً بمحور إتاحة فرص القراءة، انتهاءً بمحور السمات الشخصية للقارئ؛
- ثم تحليل نتائج عدد من الأبعاد النوعية المتعلقة بموضوع القراءة، والتي تم استقصاؤها ضمن الاستبيان المعتمد في الدراسة الحالية.

علماً أنه بالتوازي مع العرض الوصفي لمختلف النتائج، سيتم -كلما أمكن ذلك- إجراء مقارنات مع ما هو متوفر حالياً على الساحة الدولية والعربية من معطيات كمية ونوعية حول القراءة؛ رغم وعينا بنسبية بعض المقارنات جراء غياب توضيحات منهجية حول أغلب هذه المعطيات المتداولة أحياناً، وضعف توثيقها أحياناً أخرى كما سبقت الإشارة إلى ذلك أعلاه (انظر فقرة القراءة النقدية للأرقام المتداولة).

المنسوب الإجمالي للقراءة

جاءت نتائج مؤشر القراءة العربية مغايرة تماماً للأرقام التي نُشرت عن المنطقة العربية سابقاً. فقد أظهرت مختلف الأرقام المسجلة إقبالاً ملحوظاً على القراءة لدى المواطن العربي، بصرف النظر عن الوحدة المعتمدة لقياس منسوب القراءة:

- بحساب عدد ساعات القراءة سنوياً، تراوحت الأرقام بين 7.78 ساعة (في الصومال) و63.85 ساعة (في مصر)، بمعدل عربي يساوي 35.24 ساعة سنوياً.
- بحساب عدد الكتب المقروءة سنوياً، تراوح العدد بين 1.74 و28.67؛ بمتوسط عربي يساوي أكثر من 16 كتاباً في السنة.

فمن حيث عدد الكتب المقروءة سنوياً، جاءت 12 دولةً فوق درجة المتوسط العربي؛ هي على التوالي لبنان والمغرب ومصر والإمارات وتونس والأردن والسعودية وقطر والبحرين وفلسطين والجزائر وعمان. وهذه هي

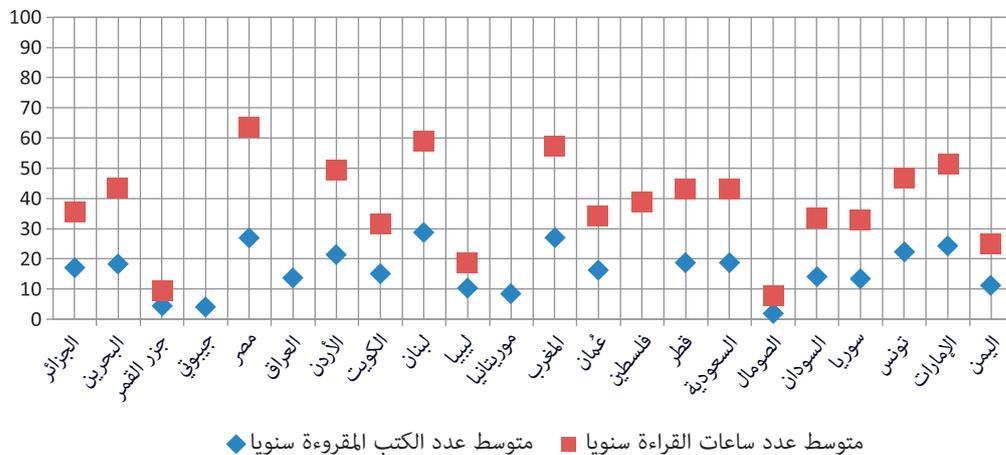
الدول ذاتها التي تأتي فوق متوسط إجمالي ساعات القراءة سنوياً باستثناء عُمان، مع مراوحةٍ نسبية في مستوى ترتيب بعض الدول (الشكل 2). وهذه النتائج رُدَّ موضوعي على الأرقام التي ما فتئت تُداول حول ما يعتبره بعضهم "أزمة قراءة" أو "فجوة قراءة"، وتأكيداً على أن الصورة ليست بالقتامة التي تُروِّجها بعض التقارير أو المواقع الإلكترونية؛ من قبيل أن متوسط معدل القراءة في العالم العربي لا يتعدى ربع صفحة للفرد سنوياً، وأن العربي يقرأ بمعدل 6 دقائق سنوياً كما هو منسوب إلى تقارير التنمية الثقافية العربية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك. والجدير بالذكر أن منسوب القراءة الذي يقيسه مؤشر القراءة في هذا التقرير لا يأخذ بعين الاعتبار الوقت الذي يُضيه الفرد في قراءة الكتب الدينية، أو الرسائل بأنواعها.

في دراسة أنجزتها مؤسسة الصفحة التالية⁵⁹ بعنوان "ماذا يقرأ العرب؟" سنة 2007، شملت مصر والسعودية ولبنان وتونس والمغرب في المرحلة الأولى⁶⁰، والجزائر والأردن وفلسطين وسوريا في المرحلة الثانية⁶¹، تبين أن غالبية الأفراد الذي شملتهم الدراسة يُعتبرون من القراء. وكانت النسب كما يلي: 88 في المئة في مصر، 55 في المئة في تونس، و44 في المئة في لبنان، و94 في المئة في السعودية، و49 في المئة في المغرب، و68 في المئة في الجزائر، و52 في المئة في فلسطين، و65 في المئة في الأردن، و68 في المئة في سوريا. وتبين أيضاً أن أكبر نسب القراءة كانت من نصيب الصحف والمجلات، وفي مواضيع متعلقة بالسياسة والأخبار والشؤون العامة.

في المقابل، تُخالف هذه النتائج الصورة التي رسمتها دراسات أخرى، من بينها استطلاع للرأي أجرته "ياهو مكتوب للأبحاث" خلال العام 2011 وشمل 3503 أشخاص من 15 دولة عربية (الجزائر، البحرين، مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عُمان، فلسطين، قطر، السعودية، الإمارات، اليمن). وانتهت نتائج هذا الاستطلاع إلى أن ربع سكان العالم العربي نادراً ما يقرأون كتباً بهدف المتعة الشخصية أو لا يقرأون أبداً؛ وأن البحرينيّين والمصريين والمغربيين هم الأكثر رغبة في القراءة بنسبة 24 في المئة، يليهم العراقيون والإماراتيون بنسبة 22 في المئة⁶². إلا أن هذه النسب كغيرها من الأرقام التي سبق عرضها في القسم الأول من

الشكل 2:

نتائج الدول العربية في منسوب القراءة بعدد الساعات والكتب سنوياً



هذا التقرير تطلّ موضعَ تساؤل، ولا يمكن الحكم على صدقيتها في غياب تفاصيل منهجية عن سير الدراسة وأدواتها. ويكفي النظر إلى عينة الدراسة لإدراك محدوديتها، وبالتالي عدم إمكانية تعميم هذه النتائج على الدُول المعنية.

لزيادة التعمق في فهم وضع القراءة في المنطقة العربية، فُصل منسوب القراءة بحسب ثلاثة متغيرات هي الصلة بمجال الدراسة والعمل، ونوع الوعاء الحامل للمقروء، ولغة المقروء؛ فكانت النتائج كما يلي:

منسوب القراءة بحسب مجال المقروء: داخل مجالي الدراسة والعمل أو خارجهما

كما يتبين من الجدول 2، كشفت المقارنة الإحصائية بين الوقت المخصّص للقراءة المتعلقة بمجالات الدراسة أو العمل وخارجها عن أسبقية في مستوى منسوب القراءة خارج نطاق الدراسة أو العمل بفوارق متفاوتة من دولة إلى أخرى؛ تُقدّر عربياً بمعدل 4 ساعات سنوياً، وبمعدل كتابين في السنة. وعلى مستوى عدد الساعات، سجّل أعلى فارق (قراءة 12 ساعة سنوياً) في الإمارات والأردن، وأدنى فارق (أقل من 30 دقيقة) في المغرب وموريتانيا. وعلى مستوى عدد الكتب، قد سجّل أعلى فارق (5 كتب سنوياً) في الإمارات وأدنى فارق (أقل من كتاب) في ليبيا وموريتانيا. وتؤشّر هذه النتائج إلى أن القراءة لدى عينة الدراسة ممارسة مرغوبة لذاتها، وليست مقيدة بدوافع خارجية يحكمها منطق الواجب أو الإلزام. وتناقض هذه النتيجة مرة أخرى ما نسب إلى التقارير العربية من أن الطفل العربي يقرأ نحو ربع صفحة سنوياً خارج منهاجه الدراسي.

منسوب قراءة الكتب بحسب نوع وعاء المقروء: ورقي أو إلكتروني

أفادت المقارنة بين الساعات المقتضية في قراءة كتب أو وثائق ورقية وتلك المقتضية في قراءة نصوص ووثائق رقمية بألوية القراءة الرقمية التي بلغ فيها المتوسط العربي لمنسوب القراءة 19.45 ساعة سنوياً مقابل 16.03 ساعة للقراءة الورقية. وهذه نتيجة غير مفاجئة نظراً إلى الاكتساح الكبير لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وظهور بدائل تبدو أكثر جاذبية من الوثائق المطبوعة. تُضف إلى ذلك سرعة انتشار الوثائق والكتب الإلكترونية، وسهولة الحصول عليها وتبادلها بأقل التكاليف؛ بحيث صار كثيرون يتحدثون اليوم عن أزمة الكتاب الورقي

الجدول 2:

المتوسط العربي لمنسوب القراءة بحسب مجالها

منسوب القراءة	ذات الصلة بالدراسة أو مجال العمل	خارج نطاق الدراسة أو مجال العمل	اختبار الدلالة الإحصائية*
بحساب الساعات سنوياً	15.18 ساعة	20.58 ساعة	يوجد فرق معنوي بين المتوسطين
بحساب الكتب سنوياً	6.80 كتاب	9.27 كتاب	يوجد فرق معنوي بين المتوسطين

* عند مستوى معنوية 5%

أمام منافسة الكتاب الإلكتروني الذي وفّر تكاليف الطباعة والنشر والتوزيع، مع سهولة تحميله وتخزينه. فقد أشار تقرير نشرته إحدى كبريات شركات الخدمات في العالم إلى أن مبيعات الكتب الإلكترونية في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا سوف تتفوق على نظيراتها من الكتب المطبوعة بحلول عام 2018⁶³. لكن دراسة إحصائية صدرت مؤخراً أشارت إلى أن نسبة قراء الكتاب الإلكتروني العرب بلغت في الإمارات 11 في المئة، وفي السعودية 9.1، وفي قطر 7.6، وفي البحرين 6، وفي لبنان 6، وفي المغرب 5.6، وفي عُمان 5.5، وفي مصر 5، وفي الجزائر 4.5، وفي الأردن 4.1، وفي السودان 3 في المئة⁶⁴. وهذا ما أكدته دراسة لمنظمة اليونسكو أفادت بأن هذه التّقيّة الجديدة أحدثت تغييراً في مشهد القراءة، حيث أصبح العديد من مستخدمي الهاتف النقال والشبكة العنكبوتية يطلعون على الكتب ويمارسون فعل القراءة بهذا الأسلوب الجديد⁶⁵.

وقد بات اليوم هذا الغزو للقراءة الرقمية، وما تبعه من منافسة للقراءة الورقية، من المواضيع الهامة للعديد من الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالقراءة والكتاب. فعلى سبيل المثال، تركز مؤتمر الناشرين العرب الثالث الذي انعقد في الشارقة عام 2015، تحت شعار "صناعة النشر.. آفاق وتحديات العصر الرقمي"، على مناقشة تأثيرات التكنولوجيا الحديثة وما أدت إليه من تراجع الكتب والصحف والمجلات الورقية، لفائدة الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت وسائل بديلة للوصول إلى المعلومات والمطالعة. وهو ما يستوجب بحسب الأمين العام لاتحاد الناشرين العرب "للحاق بالعصر الحديث للنشر، الذي يعتمد على سرعة التطور وسهولة الإطلاع، وبنفس الوقت السعي من أجل إيجاد الحلول المناسبة لمواكبة المستجدات التي أحدثها هذا التطور سواء كان إيجابياً أم سلبياً"⁶⁶.

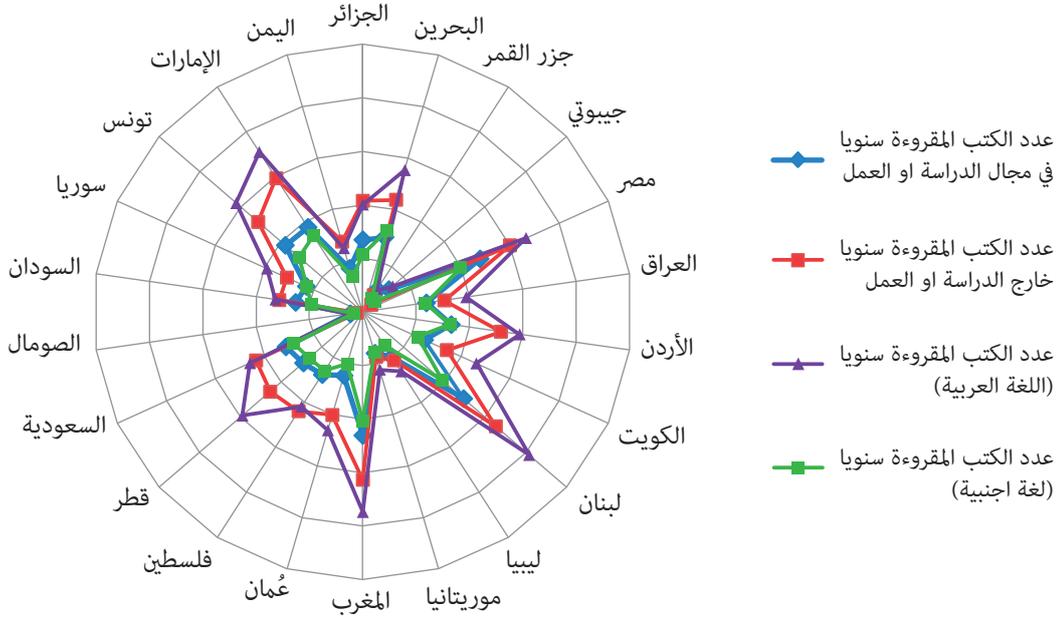
غير أن الإقرار بتراجع قراءة الكتب الورقية لا يعني إطلاقاً تراجع منسوب القراءة؛ إذ هناك اعتراف عالمي متزايد بأن ما من جيل سابق من المراهقين والشباب قرأ بحجم ما يقرأه المراهقون والشباب في العصر الحالي، لكن عبر وسائل تقنية مختلفة (اللوحة الرقمية، الهواتف الذكية، الحواسيب). وقد أدى ذلك إلى ظهور نمط جديد من القراءة يعتبره كثير من المتابعين أنه أكثر تفاعلية لكنه أقل تركيزاً لأنه محكوم بالسرعة والتوجه نحو المشاركة الخارجية (أقرأ، أبدي إعجابي أو عكسه، أضيف تعليقات، أدعو إلى المشاركة، أنشر على صفحات الآخرين أو حسابهم، إلخ)، وبالتالي هناك تحول من عالم "القراءة التأملية" إلى عالم "القراءة الديناميكية"⁶⁷.

منسوب قراءة الكتب بحسب لغة المقرء: عربية أو أجنبية

جاء التقدّم واضحاً لفائدة منسوب قراءة الكتب باللغة العربية الذي تراوحت فيه متوسطات الدول بين 1.23 في الصومال و20.40 في لبنان، وبمتوسط عربي بلغ 10.94 كتاب في السنة؛ بينما تراوح منسوب قراءة الكتب بلغة أخرى غير العربية (الفرنسية أو الإنجليزية) بين 0.90 في الصومال و10.22 في المغرب، ولم يتجاوز المتوسط العربي لقراءة الكتب الأجنبية 5.90 في السنة. وقد تفاوت حجم الفوارق بين منسوب القراءة باللغة العربية والقراءة بلغة أجنبية، حيث بلغ الفارق نحو 11 كتاباً في لبنان و9 في الإمارات و8 في المغرب وقطر و7 في تونس؛ بينما لم يتجاوز كتاباً واحداً في الصومال وجزر القمر، وكتابين في موريتانيا، و3 كتب في اليمن وليبيا وجيبوتي.

الشكل 3:

عدد الكتب المقروءة سنوياً في صلتها باللُّغة ومجال الدراسة والعمل



تلتقي هذه النتيجة مع نتائج دراسة لـمؤسسة الصفحة التالية التي سبق الحديث عنها، حيث عبّر أغلب المستطلعين عن تفضيلهم القراءة باللُّغة العربيّة؛ سواءً لدى قراءة الصحف أو المجلّات أو الكتب، أو القراءة على شبكة الإنترنت. يُستثنى من ذلك الجزائريّون الذين تساوى ميلهم إلى القراءة باللغتين العربيّة والفرنسيّة، لا سيّما عندما يقرأون مواضيع على شبكة الإنترنت؛ والتونسيون واللبنانيون الذين أبدوا تفضيلهم للُّغة العربيّة في حال الكتب والمجلّات، واللُّغة الفرنسيّة أو الإنجليزيّة في حال استخدام الإنترنت. في السياق ذاته، أظهرت دراسة لأهّاط القراءة في المجتمع السعودي أنّ 80.4 في المئة من أطفال العيّنة يُفضّلون القراءة باللُّغة العربيّة، مقابل 13.1 في المئة يُفضّلون المزج بين اللغتين العربيّة والإنكليزيّة⁶⁸.

ويمكن القول أنّ هذه النتائج لا تُناقض الأحكام المتداولة حول تراجع مكانة اللُّغة العربيّة، لكنّها تشير إلى عودة الاهتمام بها في المجتمعات العربيّة؛ بفضل انتشار المبادرات الوطنيّة والإقليمية التي تعالج قضية اللُّغة العربيّة في العصر الراهن. ومن الخطوات الرائدة في هذا المجال، مبادرة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم "بالعربي" التي أُطلقت عام 2013 (عقدت دورتها السنوية الثالثة في كانون الأول/ديسمبر الماضي) من أجل العمل على تغيير الصورة النمطيّة عن اللُّغة العربيّة، وتشجيع العرب على استخدام لغتهم الأمّ في الفضاءات الافتراضيّة، خصوصاً وسائل التّواصل الاجتماعي⁶⁹؛ وكذلك مبادرة مؤسسة قطر بإنشاء "المنظمة العالميّة للنهوض باللُّغة العربيّة" التي تهدف، من خلال تفعيل المبادرات المتّسمة بالإبداع والتميز، إلى جعل اللُّغة العربيّة "لغة تخاطبٍ وبحثٍ وعلمٍ وثقافة"⁷⁰. ويمكن اعتبار النتيجة التي كشف عنها مؤشر القراءة علامة

إيجابية على وجود استعداد وإقبال لدى القارئ العربي على المؤلفات المكتوبة بالعربية. ويدعو هذا الأمر إلى زيادة تعزيز مكانة اللغة العربية وإغناء مضامينها أيًا كان الوعاء الحامل لها، ورقياً أو إلكترونياً، حتى تكون أحد الروافع الأساسية لإنتاج المعرفة ونقلها وتوطينها، ووسيلة لاستيعاب القيم والمهارات التي تُساعد على الانخراط في مجتمع المعرفة؛ من دون إهمال اللغات الأجنبية، باعتبارها بوابة الانفتاح على المنتجات المعرفية والتكنولوجية للحضارات الأخرى.

إتاحة فرص القراءة

ترتبط مسألة ترسيخ عادة القراءة في النشء بالبيئة التي ينشؤون فيها، والمناخ الثقافي السائد في محيطهم؛ بدءاً بالمحيط الأسري، ثم المحيط المدرسي، ووصولاً إلى المجتمع بمؤسساته الحكومية والمدنية. لذا، أولى مؤشر القراءة العربي أهمية كبيرة لعامل إتاحة فرص القراءة؛ حيث دُرست الإتاحة على ثلاثة مستويات: الأسرة، والمؤسسة التعليمية، والمجتمع. وأكدت القيمة الإجمالية لمحور الإتاحة توفّر بيئة مشجعة على القراءة في دول عربية عديدة، حيث فاقت درجات المتوسط الثمانين في 4 دول (المغرب والإمارات ومصر ولبنان)، على خلاف جيبوتي وجزر القمر والصومال التي لم يتجاوز فيها المتوسط درجة العشرة. وفي ما يتعلق بأنواع الإتاحة، كشفت النتائج عن تباينات جديرة بالاهتمام، سواء بين الدول أو داخل الدولة الواحدة (الشكل 4).

تُشير النتائج المعروضة في الجدول 3 إلى أنّ مستوى الإتاحة، إذا ما نُظر إليه كمتوسط عام للمنطقة العربية، لا يزال دون المستوى المطلوب؛ خصوصاً من حيث الإتاحة في المجتمع. وعموماً، يُلاحظ وجود أسبقية نسبية للإتاحة في المؤسسات التعليمية في كل الدول، باستثناء لبنان ومصر حيث كانت الأسبقية للإتاحة في الأسرة. على صعيد آخر، تُؤكّد قيم الانحراف المعياري وجود تشتت كبير في القيم، ما يُحتم النظر إلى واقع كل دولة لتشخيص مواطن قوتها وضعفها. لذا، سيُسلط الضوء في القسم التالي على مستويات الإتاحة، مع التركيز على أداء الدول.

الجدول 3:

نتائج الدول العربية في محاور إتاحة فرص القراءة

إتاحة فرص القراءة	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار الدلالة الإحصائية*
في الأسرة	46.16	30.10	يوجد فروق معنوية بين المتوسطات
في المؤسسة التعليمية	52.02	27.77	
في المجتمع	36.56	23.72	
* عند مستوى معنوية 5%			

الإتاحة في مستوى الأسرة

تراوحت درجات محور الإتاحة في الأسرة بين 1.45 في الصومال و94.84 في لبنان، وهذا المدى الواسع يُفسّر إلى حدّ كبير ضعفَ درجة المتوسط العربيّ. وبالنظر إلى الدرجات المسجّلة، يتبيّن أنّ 11 دولةً عربية تأتي فوق متوسط سلّم الدرجات (50 من 100). فقد حصلت 4 دول (لبنان ومصر والمغرب والإمارات) على درجاتٍ تفوق 80، و5 دول (الأردن وتونس وقطر والسعودية والبحرين) على درجاتٍ بين 60 و75، ودولتان (فلسطين والجزائر) على درجاتٍ في حدود الخمسين. في المقابل، حصلت كلٌّ من اليمن وليبيا وموريتانيا وجيبوتي وجزر القمر والصومال على درجاتٍ لم تبلغ عتبة العشرين.

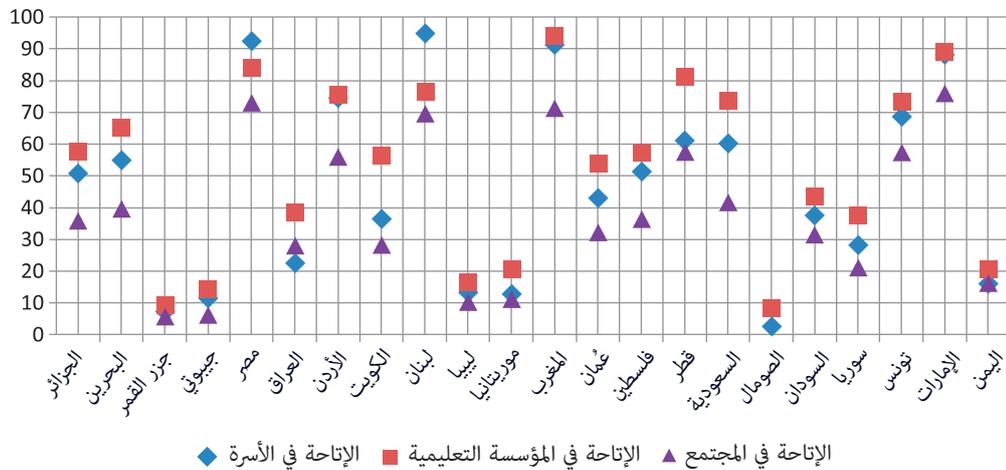
من هنا تتأكد الحاجة إلى زيادة تعزيز دور الأسرة العربيّة لتمتين علاقتها بالقراءة، باعتبارها الحضن الأول الذي يتعرّف فيه الطفل على عالم القراءة. وتؤكد كل الدراسات، بما فيها الدراسة الحالية، وجود علاقةٍ موجبةٍ قويّة بين المناخ الثقافي للأسرة وتعلّق الطفل بالقراءة. وفي هذا الصدد، أورد تقريرُ القراءة ومجتمع المعرفة الصادر عن مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي مجموعة دراساتٍ عالمية وإقليمية ومحلية تُؤكّد على دور الوالدين، وبخاصّة الأمّهات، في تحديد اتجاهات أطفالهم نحو القراءة؛ وكذلك على وجود علاقةٍ موجبةٍ إحصائيًا بين الميول والاتجاهات القرائية ومجموعة من المتغيّرات المتعلقة بالأسرة مثل المستوى التعليمي للوالدين، وممارستهم للقراءة، وتوفّر مكتبة في البيت، وما شابه ذلك.

الإتاحة في مستوى المؤسسة التعليمية

جاءت نتائج الإتاحة في الاتجاه نفسه لمستوى الإتاحة في الأسرة، مع اختلافٍ نسبيّ في الدرجات التي تراوحت إجمالاً بين 7.44 في الصومال و93.60 في المغرب؛ فيما سجّلت 13 دولةً درجاتٍ فوق المتوسط

الشكل 4:

نتائج الدول العربية في إتاحة فرص القراءة، في الأسرة والمؤسسة التعليمية والمجتمع



◆ الإتاحة في الأسرة ■ الإتاحة في المؤسسة التعليمية ▲ الإتاحة في المجتمع

العربي (52.02). وهذه المجموعة ذاتها التي تصدرت قائمة المحور السابق وأضيفت إليها الجزائر وفلسطين والكويت وعمان، في مقابل المجموعة نفسها التي ظهرت في آخرها.

تمثل هذه النتيجة، التي تؤشر إلى وجود أرضية ملائمة في أغلب المؤسسات التعليمية في الدول العربية، دفعا مهما في طريق إرساء مجتمعات قارئة؛ وهو ما يضع هذه المؤسسات أمام مسؤولية جمة، تتمثل في تثبيت عادة القراءة لدى النشء. وهذه العادة "لن تتكون لدى الإنسان إلا عندما يشعر بشيء من المتعة واللذة عندما يقرأ، وهذا لن يكون إلا حين تكون القراءة عبارة عن نوع من الاكتشاف، ونوع من تنمية العقل، وتوسيع قاعدة الفهم، وكل ذلك مرهون بامتلاك طريقة جديدة للتعامل مع المواد العلمية المقررة على الطلاب"⁷¹. وهناك دراسات عديدة تناولت هذه المسألة، سواء داخل المنطقة العربية أو خارجها، واتفقت على الدور الأساسي للبيئة المدرسية في التحفيز على القراءة؛ منها مثلاً دراسة أجريت في العاصمة التركية حول اتجاهات القراءة بينت أن للمعلمين دوراً حيوياً في تطوير مشاعر الأطفال الإيجابية نحو القراءة⁷².

الإتاحة في مستوى المجتمع

نسبياً، تأتي درجات المتوسط المسجلة للإتاحة في المجتمع في المستوى الثالث، مقارنةً بسابقتها (الأسرة، والمؤسسة التعليمية). فقد تراوحت بين 1.67 في الصومال و75.92 في الإمارات، وجاء متوسط الدول العربية مجتمعة في حدود 36.56؛ وهي درجة ضعيفة، باعتبار بعدها عن منتصف السلم المعتمد (50 من 100 على الأقل). ويرتبط تدني مستوى الإتاحة في مؤسسات المجتمع الحكومية أو المدنية بضعف البناء الثقافي في بعض البيئات العربية، وغياب الاهتمام بالفضاءات المهنيّة للقراءة. أضف إلى ذلك ضعف فعاليات الجماعات الثقافية وغياب برامجها على مستوى النشاطات المحفزة على القراءة، والافتقار إلى المعارض التي تُعرف بالجديد من الكتب أو الندوات التي تُناقشها؛ وهو ما يعني تهميش الفعاليات التي من شأنها ترويج الكتاب وتوطئ عادة القراءة.

على نحو عام، تستدعي النتائج المعروضة رسم خطط استراتيجية من قبل كل الجهات المعنية بتربية النشء وتكوينه؛ بدءاً من المؤسسة الأسرية، ووزارات الثقافة والتعليم والشباب، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وكل القطاعات المعنية في المجتمع المدني. والغاية من ذلك تكثيف الجهود، والعمل على غرس حب القراءة في نفوس الناشئة وتحفيزها على ممارسة القراءة بانتظام؛ للتغلب على كل مظاهر التخلف الفكري والمعرفي التي باتت تُهدد كيان الوطن العربي، ثقافياً وحضارياً وعلمياً وتكنولوجياً.

السمات الشخصية للقارئ

لسمات الفرد الشخصية دور كبير في تحديد علاقته بالقراءة أو المطالعة. ولكي تترسخ القراءة كممارسة فعلية مستدامة، كما سبق توضيحه في الجزء المفاهيمي، فإنها تحتاج إلى الاستناد إلى مجموعة ركائز معرفية ووجدانية؛ أهمها القدرة على القراءة وفهم المقروء، وامتلاك اتجاهات إيجابية نحو القراءة، والتعلق بالقراءة

الجدول 4:

نتائج الدول العربية في محاور السمات الشخصية للقارئ

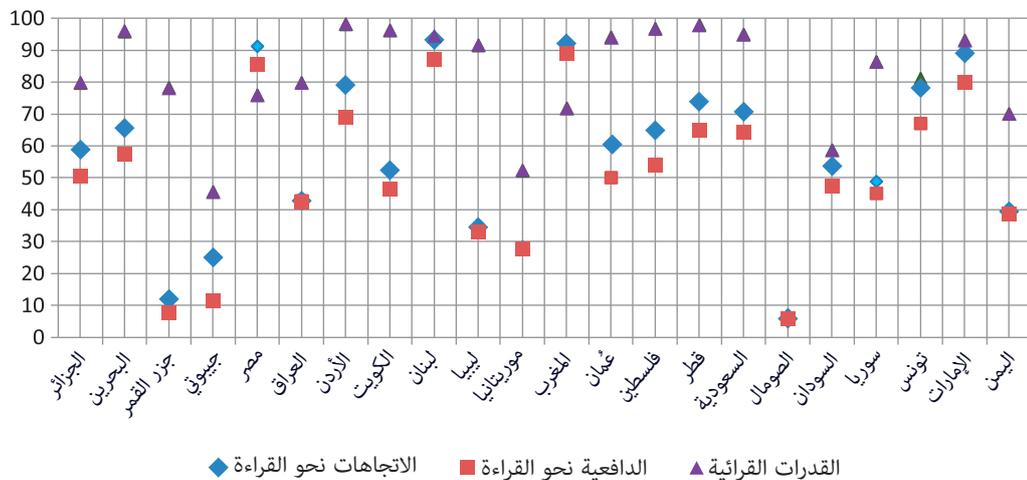
إتاحة فرص القراءة	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار الدلالة الإحصائية*
القدرات القرائية	82.38	15.60	يوجد فروق معنوية بين المتوسطات
الاتجاهات نحو القراءة	57.33	25.57	
الدافعية نحو القراءة	51.10	24.30	
* عند مستوى معنوية 5%			

والإقبال عليها. لذلك، كان لا بد من سبر هذه السمات باعتبارها أحد الأبعاد الأساسية لمؤشر القراءة في المنطقة العربية. وفي هذا الصدد، تراوحت درجات المتوسط الإجمالي لمحور السمات الشخصية مجتمعة بين 6.35 (في الصومال) و93.40 (في لبنان).

يلاحظ من خلال الجدول 4 وجود أسبقية في مستوى متغير القدرات القرائية، حيث ظهر أعلى متوسط للدول العربية وأدنى انحراف معياري مقارنة بالسمتين الأخيرتين: الاتجاهات والدافعية. لكن متغير القدرات القرائية لم يُقَس مباشرة مع استبيان القراءة، بل اعتمد فيه على معدل إلمام البالغين (15 عامًا فما فوق، ومن كلا الجنسين) في كل دولة بالقراءة والكتابة؛ على اعتبار أن هذه الشريحة تُشير إلى الكتلة المهية للقراءة، والمعنية تاليًا بموضوع القراءة. وكان متوسط الاتجاهات والدافعية نحو القراءة متقاربين في حدود وسط السلم؛ ما يُفيد بمحدودية هذين العاملين، إذا ما نُظر إلى النتائج كقيمة ممثلة للمنطقة العربية. لكن التأمل في مستوى أداء الدول منفردة يكشف عن تباينات كبيرة بينها (الشكل 5).

الشكل 5:

نتائج الدول العربية في القدرات القرائية، والاتجاهات والدافعية نحو القراءة



وقد كشفت عمليات تحليل الارتباطات عن وجود علاقة موجبة، دالة إحصائياً، بين هذه الأبعاد الثلاثة؛ تسيّر في المسار نفسه الذي ذهبت إليه الدراسات المهتمة بسلوكيات القراءة. فهذه الدراسات تعتبر القراءة عملية نفسية قبل أن تكون عملية فسيولوجية أو عقلية؛ حيث ترتبط بالقدرة العامة لدى القارئ، واستعداده للقراءة، ودافعيته تجاه المادة المقروءة، وغرضه من قراءة مادة معينة دون غيرها، وميله إلى القراءة في مجالات معينة - علاوة على عمليات التفكير التي يمارسها القارئ قبل القراءة، وفي أثنائها، وبعدها⁷³.

الاتجاهات نحو القراءة

جاءت 12 دولةً فوق المتوسط العربي بمتوسّطات تراوحت بين 58.78 في الجزائر و92.97 في لبنان؛ وضمت المجموعة، إلى جانب ذلك، كلاً من المغرب ومصر والإمارات والأردن وتونس وقطر والسعودية والبحرين وفلسطين وعمان. في المقابل، كانت أضعف الدرجات لدى الصومال (6.91)، وجزر القمر (11.93)، وجيبوتي (24.98)، وموريتانا (28.20)، وليبيا (35.13). وحتى إذا عدت هذه النتيجة إيجابية في مجملها، وبخاصة في دول فاقت فيها درجاتها المتوسط السبعين، فإنها تدعو إلى مزيد من الاهتمام بهذا الجانب؛ لأن الاتجاهات تُعدّ سندا قوياً لتحريك الدافعية إلى القراءة والإقبال عليها فعلاً، كما أثبتت ذلك دراسات عربية وأجنبية عديدة. ففي هذا الصدد، أكدت إحدى الدراسات العربية أن مكونات عديدة للدافعية، منها المشاركة وحب الاستطلاع وزيادة المعرفة، توجد بكثرة لدى الأشخاص الذين يمتلكون اتجاهات إيجابية نحو القراءة⁷⁴.

لم تتسنّ لفريق التقرير مقارنة هذه النتائج التي كشف عنها مؤشر القراءة العربي بنتائج أخرى، بسبب عدم توفر دراسات إقليمية مقارنة تخصّ الاتجاهات نحو القراءة؛ رغم كثرة الدراسات المحلية بشأن الموضوع. وقد اتفقت هذه الأخيرة على أهمية الاتجاهات نحو القراءة، وركزت بالخصوص على معرفة اتجاهات تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات نحو القراءة، وعلاقة تلك الاتجاهات بمتغيرات شخصية مثل الجنس والذكاء والتحصّل الدراسي والتخصّص الأكاديمي؛ وأخرى محيطية مثل المستوى التعليمي للوالدين، ودخل الأسرة الشهري، والممارسات التعليمية والعوامل الثقافية والاجتماعية، وغيرها. ويُستنتج من كل ذلك أن معرفة اتجاهات التلاميذ/الطلبة نحو القراءة يُعدّ إجراءً أساسياً عند تناول مسألة القراءة. فمن شأن تشخيص هذه الاتجاهات القرائية، السلبية أو الإيجابية، أن يُوفّر للأطراف المعنية إضاءة كافية تُساعدهم على غرس الاتجاهات الحميدة، و/أو تعزيزها، و/أو تعديلها؛ حتى تكون طاقة إيجابية تُقوّي الميول القرائية وتحوّلها إلى ممارسة فعلية ثابتة في حياة الفرد، وتؤدي من ثمّ إلى بناء مجتمع قارئ.

الدافعية نحو القراءة

تُعدّ درجات الدافعية، مقارنةً بالقدرة والاتجاهات، متأخرة نسبياً، إذ لم تصل إلى درجة المتوسط العربي سوى 10 دول، هي نفسها التي جاءت في صدارة قائمة الاتجاهات باستثناء عمان والجزائر؛ وكذلك الشأن بالنسبة إلى المجموعة الأخيرة، حيث ظهرت الدول نفسها مع انخفاض في الدرجات. وعموماً، تبدو مسألة

الدافعية نحو القراءة في حاجةٍ إلى مزيدٍ من الدعم والتعزيز؛ ولا سبيلَ إلى ذلك دون الكشف عن الدوافع الحقيقية التي تُحرِّك رغبةَ الشخص في القراءة، ومَنحه الحدَّ الأقصى من الرضا عند ممارستها. وفي هذا الصدد، لا بدَّ من التأكيد على ضرورة التركيز على تنمية الدافعية الداخلية إلى القراءة (مثل حبِّ الاستطلاع، والمثابرة، وتحسين مفهوم الذات القرائي، والفعالية القرائية، والكفاءة الذاتية، وغيرها)، بدلَ الاكتفاء برَبطها بمحفِّزاتٍ خارجية تجعل مدى فعل القراءة وجاذبيتها مُرتَهينَ بحضورها. فقد أكدت دراساتٌ عديدة أجريت في مناطقٍ مختلفةٍ من العالم وجودَ تأثيرٍ إيجابيٍّ ومباشرٍ للدافعية الداخلية في الإقبال على القراءة وفهم المقروء، وبالتالي في التحصيل الدراسي⁷⁵.

القدرة القرائية

يُظهر مستوى القرائية في المنطقة العربية تحسُّناً مطرداً، ويتساوى مع المستويات العالمية في كثيرٍ من الدول العربية؛ حيث يكاد يُناهز 100 في المئة. فقد فاقت درجاتُ المتوسط 80 في 12 دولة، وجاءت بين 60 و80 في 6 دول، بينما كان المتوسطُ في حدود 52 في موريتانيا و45 في جيبوتي؛ وظلت الصومال دون بيانات. وهذه النتيجة إيجابيةٌ جداً لكونها تُؤكِّد وجودَ الأرضية الأساسية لفعل القراءة بمعنى القدرة على فكِّ الحروف، ومنها إلى تطوير مهارة القراءة بمعنى الفهم والتحليل والتأليف؛ وُصولاً إلى إرساء ممارسة القراءة كسلوكٍ راسخ لدى الفرد. فمن وجود هذا الحد الأدنى للإمام أفراد المجتمع بالقراءة والكتابة لا ينتفي كلُّ أملٍ في النهوض بوضع القراءة في المنطقة العربية فحسب، بل أيضاً في قدرتهم على تحصيل مهارات الحياة الأساسية التي تُمكنهم من المشاركة الفعلية في مجتمعات المعرفة واقتصاداتها. وهذا ما يُفسِّر الإجماعَ الأمميَّ الكبير على أهمية مسألة القرائية الذي تجسَّد منذُ عام 2005 عندما أطلقت اليونسكو مبادرة "القرائية من أجل التمكين"⁷⁶ التي تستهدف تعميمَ القراءة والكتابة باعتبار أن "إيجاد بيئات ومجتمعات ينتشر فيها الإمام بالقراءة والكتابة أمر أساسي لتحقيق الأهداف المتعلقة بالقضاء على الفقر وخفض معدلات وفيات الأطفال والحد من النمو السكاني وتحقيق المساواة بين الجنسين وكفالة التنمية المستدامة والسلام والديمقراطية"⁷⁷.

بيدَ أنَّ الاهتمامَ بالقرائية "الأبجدية" يجب ألاَّ يُشغلَ المعنيتين بالأمر عن القرائية التكنولوجية التي باتت مسألةً حيويةً في عصر الانفجار التكنولوجي، والتحوُّل المطرد نحو النظم الافتراضية والمعاملات الإلكترونية. وفي هذا الصدد، يرى المختصون في هذا المجال أنَّ الممارسات المستجدة للقراءة عبر وسائط رقمية تضع موضعَ تساؤلٍ المكتسبات والمعتقدات المتعلقة بالقراءة، وكذلك دوافع القراء واستراتيجياتهم؛ وحتى العلاقة مع المعلومة والمعرفة⁷⁸.

يتضح مما سبق تناوُّله حول الاتجاهات والدوافع والقدرات المتعلقة بالقراءة، أنَّ القراءة مهارةٌ جامعة؛ يندمج فيها البعد المعرفي، والبعد الانفعالي الوجداني، وكذلك البعد الاجتماعي؛ وبقدْر ما تنسجم هذه الأبعاد، تتحدّد درجة الاستفادة من فعل القراءة وديمومته. ولأنَّ القدرة والاتجاهات والدافعية ذات الصلة بالقراءة سماتٌ مكتسبة وليست سماتٍ خلقية ثابتة، فإنها تظل في حاجةٍ دائمة إلى بيئةٍ حاضنة تُوفِّر لها الرعاية اللازمة؛ لتنمو وتوظف توظيفاً سليماً في بناء رأس مالٍ معرفي وثقافي، متجددٍ ومتطورٍ باستمرار.

جوانب نوعية متعلقة بموضوع القراءة

لمزيد من التعمق في فهم وضع القراءة في المنطقة العربية، وعدم الاكتفاء بقياسها كظاهرة كمية صرفة، استهدف الاستبيان المعتمد لجمع البيانات مجموعة مسائل مرتبطة بجوانب نوعية ذات صلة بممارسة القراءة؛ من بينها:

القراءة والشعور بالارتياح والسعادة

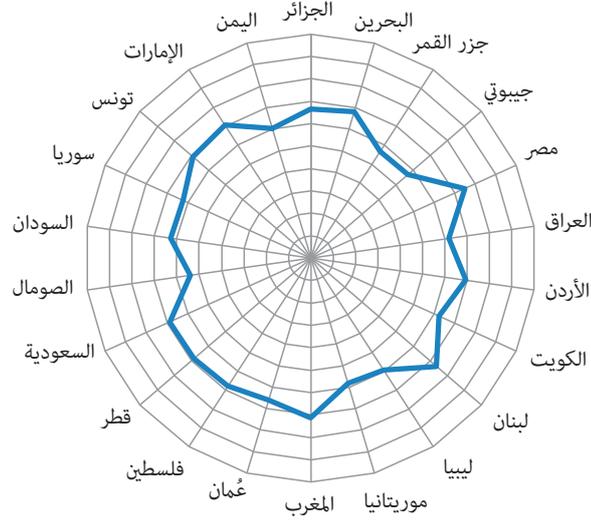
لا شك في أن للقراءة أهدافاً عدّة، تتنوع بين كسب المعرفة والترويح عن النفس، وبين الفائدة والمتعة؛ حيث يُفترض بأن يُثمر كلاهما شعوراً بالرّضا والارتياح. فالقراءة، أكانت بدافع أداء الواجب أم بدافع إشباع رغبة ذاتية، تُؤدّي في نهاية الأمر إلى نوع من خفض التوتر والشعور بجُملة انفعالات إيجابية. إضافة إلى ذلك، يُمكن للإقبال على القراءة بدوافعٍ داخلية منح القارئ شعوراً بالسعادة والرّضا الداخلي، وبالتوافق النفسي؛ لأنّ القراءة التلقائية، المرغوبة لذاتها، تُغني الفكر، وتُطلق العنان للتخيّل، وتُوسّع آفاق إدراك العالم الخارجي، وتفتح مجالات التميّز والإبداع. وهذا من شأنه رفع معنويات الشخص، وإمّاء تقديره لذاته وإحساسه بالكفاءة، وتطوير قدرته على تلمّس مواطن الجمال في داخله وفي العالم المحيط به؛ فتتحقق لديه أسباب الشعور بالمتعة والسعادة.

من هذا المنطلق، كان السؤال حول مدى تأثير القراءة في الشعور بالسعادة. وجاءت النتائج مؤكدةً هذا الترابط، حيث بلغت نسبة المؤكدين على أنّ القراءة تُشعرهم بالسعادة دائماً 64.93 في المئة؛ فيما لم تنخفض النسبة تحت 50 في المئة في أيّ من دول المنطقة العربية. وعلى أساس تراوح النسب بين 54.15 و74.92 في المئة، يمكن توزيع الدول العربية إلى 3 فئات تضمّ أولاها الدول التي فاقت فيها النسب 70 في المئة، وهي مصر ولبنان والمغرب والإمارات. وتضمّ الفئة الثانية الغالبية التي تراوحت فيها النسب بين 60 و70 في المئة، 13 دولة، هي الأردن وتونس وقطر والسعودية والبحرين وفلسطين والجزائر وعمان والسودان والكويت وسوريا والعراق واليمن؛ فيما تضمّ الثالثة، التي تراوحت فيها الدرجات بين 50 و60 في المئة، ليبيا وموريتانيا وجيبوتي وجزر القمر والصومال (الشكل 6).

يُندرج مفهوم السعادة في الحقيقة ضمن ما يُسمّى علم النفس الإيجابي الذي يهدف إلى تحقيق قدرات الفرد الكاملة، والشعور بالرّضا وبالانسجام الداخلي⁷⁹. ويرى المختصون في هذا المجال أنّ الشخص الذي يعيش تجربة مثلى أو ناجحة، يحتفظ منها بذكريات ممتعة، وبقناعة أنه تعلّم شيئاً نافعا، ووافته حقه هدفاً معيّنًا؛ ما يُغني شخصيته، ويُغني ثقته بنفسه، ويُعلي تقديره لذاته. وهذا تمامًا ما يحدث للقارئ الذي يُقبل على القراءة طوعاً لا كرهاً، فيشعر بالمتعة والاستقرار النفسي؛ إلى جانب الفائدة. ويعتبر اختصاصيون نفسيون القراءة وقايةً لمشاعر التوتر والكآبة وعلاجاً لها، لأنها تُشغل العقل وتملأ مساحات الفراغ التي يُمكن أن تتسرّب منها مشاعر القلق، وتُشعر الشخص بالرّضا الذاتي والاستمتاع.

الشكل 6:

نسب الشعور بالسعادة نتيجة القراءة في الدول العربية



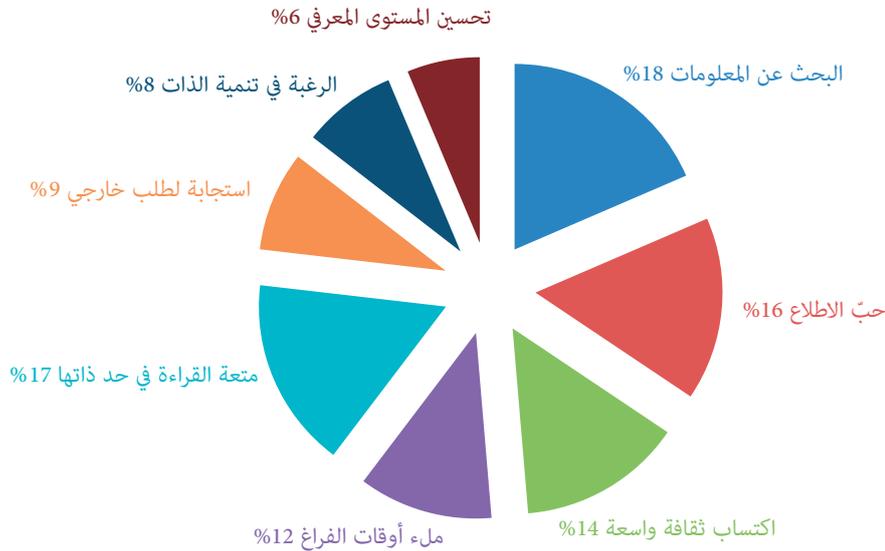
وأشارت دراسةً طويلةً أمريكية، نشرتها المجلة العلمية "العلوم الاجتماعية والطب" في أيلول/سبتمبر 2016، إلى أنّ من شأن القراءة، وبخاصة قراءة الكتب، إطالة عمر الإنسان. وقد تتبعت الدراسة، التي أجراها أكاديميون من جامعة 'يال' المرموقة ودامت 12 عامًا، أوضاع 3635 رجلاً وامرأةً فوق الخمسين، وتوصل الباحثون بفضلها إلى أنّ قراءة الكتب لمدة 3 ساعات ونصف الساعة أسبوعيًا يُخفّض من احتمالات الوفاة خلال الاثنتي عشرة سنةً اللاحقة بنحو 17 في المئة؛ ما يمنح قراء الكتب احتمال العيش 23 شهرًا أكثر من غير قراء الكتب. وترجّح الدراسة أنّ ذلك يعود إلى التأثير الإيجابي للقراءة في القدرات المعرفية والإدراكية للفرد، حيث تُعزز قراءة الكتب التواصل بين خلايا الدماغ⁸⁰.

الأسباب الدافعة إلى القراءة

كما بيّن سابقًا، تؤدّي الدوافع إلى القراءة دورًا أساسيًا في مدى الإقبال على القراءة أو العزوف عنها؛ ولذا لا يمكن معالجة إشكالية القراءة في المنطقة العربية دون سبر أنواع الدوافع وأهميّتها. ولهذا الهدف، طُلب من المشاركين في الاستبيان الإلكتروني تحديد الدافع الرئيسي إلى القراءة من بين 8 أسبابٍ مقترحة؛ فكشفت النتائج عن بروز 4 دوافعٍ أساسية، يتصدرها دافع "البحث عن المعلومات"، تليه دوافع "متعة القراءة في حدّ ذاتها"، و"حب الاطلاع"، و"اكتساب ثقافة واسعة". أما الدافع الذي جاء في مراتب متأخرة، فهو "الاستجابة لطلب الأهل أو المدرّسين"؛ بنسبٍ متقاربة مع "الرغبة في تنمية الذات"، و"تحسين المستوى المعرفي" (الشكل 7).

الشكل 7:

دوافع القراءة على مستوى المنطقة العربية



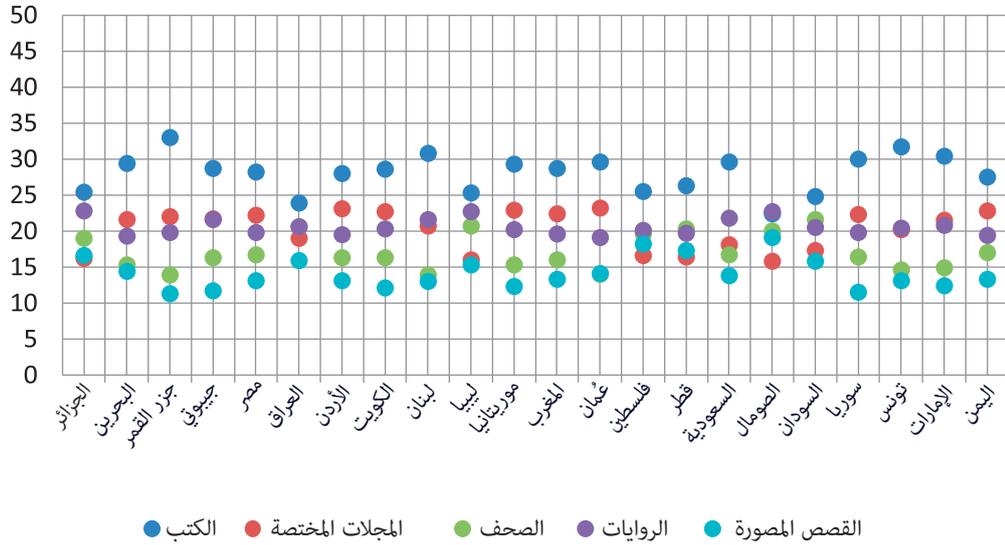
يتبين من هذا التوزيع العام أن هناك خليطاً من النّفعيّة والتمتعة الذاتية في علاقة القارئ العربيّ بالقراءة؛ إذ يُلاحظ أن الدوافع المتصدّرة في أغلب الدول العربية جمعت بين الدافع الخارجي المتمثل في القراءة للحصول على منفعة ما (ثقافية أو معرفية)، والدافع الداخلي المتمثل في الاستمتاع بفعل القراءة وإشباع الحاجة إلى الاطلاع. ويبدو هذا الاتجاه طبيعياً بالنظر إلى أن الفئة الكبرى المكوّنة لعيّنة الدراسة هي من طلبة المدارس والجامعات. وهذه فئة تحتاج إلى ممارسة القراءة من منطلق أداء الواجبات المدرسية، إن لم يكن بدافع الرغبة الشخصية؛ ما من شأنه تعزيز منسوب القراءة لدى هؤلاء الطلبة. لكنّ بعض الدراسات التي تناولت مُعوقات القراءة أشارت إلى أن الانشغال بالدروس، وأداء الواجبات المدرسية، وكثافة المنهج يُمكن أن تُكوّن مُعوقاتٍ مدرسية تُحدّ من الوقت المتاح للقراءة الحرّة خارج المنهج.

أصناف القراءة الورقية

رغمّ الاكتساح المتزايد للوسائل التكنولوجية، وما وفّره من وسائلٍ عديدةٍ حوّلت الاهتمام إلى عوالم الصورة والصوت والحركة، لا يزال هناك قراءٌ لم يقطعوا علاقتهم بالمنشورات الورقية؛ من كتبٍ ومجلاتٍ وصحفٍ وغيرها. ويبدو أن الكتبَ تحديداً لم تُفقد بعدُ جاذبيّتها كما كشفت عن ذلك نتائج مؤسّر القراءة العربي؛ حيث ظهرت قراءة الكتب في المرتبة الأولى بنسبة 28.05 في المئة، تلتها الروايات بنسبة 20.55 في المئة، ثمّ المجلاتُ المختصّة بنسبة 20.21 في المئة. وجاءت الصحفُ والقصصُ المصوّرة في المرتبتين الأخيرتين (17.06 و14.12 في المئة على التوالي). وينطبق هذا التوجّه العامّ في خصوص أسبقية قراءة الكتب على كلّ الدول العربية باستثناء الصومال، التي تساوت فيها قراءة الكتب مع قراءة الروايات. ولو جمعت نسب الذين عبّروا عن تفضيلهم

الشكل 8:

أصنافُ القراءة الورقية في الدول العربية



للكتب مع الذين فضّلوا الروايات تحديداً، لتبيّن أنّ النسبة العربية ترتفع إلى 48.60 في المئة؛ ما يعني أنّ مكانة الكتاب الورقي، أيّاً كان نوعه، لا تزال الغالبة على الأصناف الورقية الأخرى.

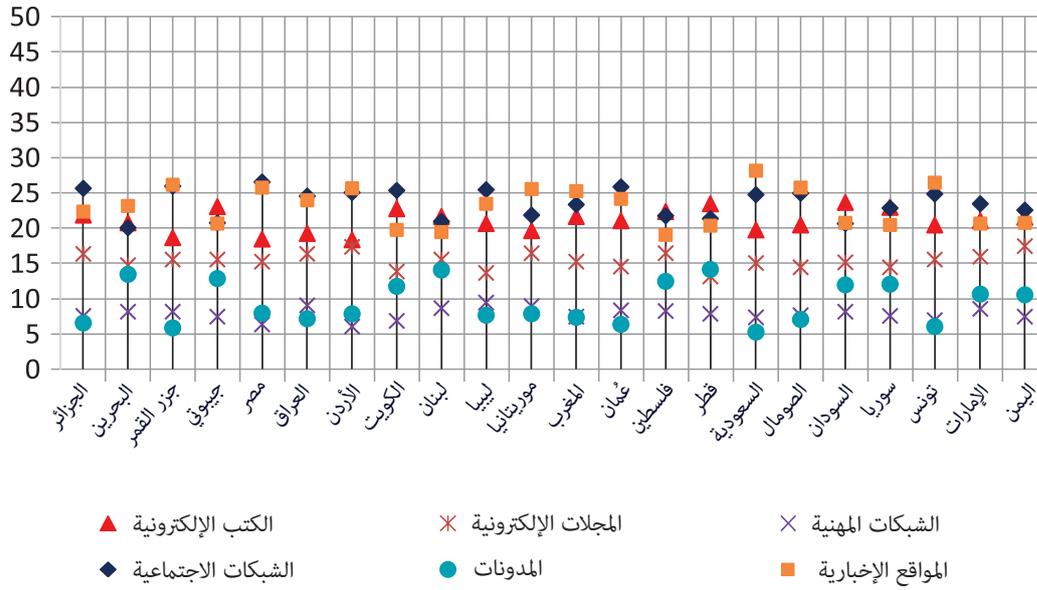
تُعتبر هذه النتيجة إيجابيةً للغاية، خصوصاً إذا ما نُظر إليها من زاوية الدراسة الأمريكية المذكورة آنفاً عن التأثير الإيجابي لقراءة الكتب مقارنةً بباقي الأصناف. فقد أوضح الباحثون أنّ قراءة الكتب ترتبط بعمليات معرفيتين يمكن أن تُحقّق للقارئ "أفضليةً للبقاء"؛ أولاهما أنّ قراءة الكتب تُعزّز "عملية الاستغراق البطيئة في القراءة العميقة"، أو التفاعل المعرفي الذي "يحدث فيما يُقيم القارئ علاقاتٍ مع أجزاءٍ أخرى من المادة، ويجد تطبيقاتٍ منها على العالم الخارجي، وي طرح أسئلةً عن المضمون المقدم له". ويضيف الباحثون أنّ من الممكن للتفاعل المعرفي تفسير السبب في تحسّن المفردات، والتعليل، والتركيز، ومهارات التفكير النقدي من خلال قراءة الكتب. والعملية المعرفية الثانية، وأنّ في إمكان الكتب تعزيز التقمص الوجداني، والإدراك الاجتماعي، والذكاء العاطفي؛ وهي عمليات معرفية يمكن أن تؤدي إلى بقاء أطول". وفي حين أنّ أفراد العينة التي درسها الباحثون لم يُحدّدوا أنواع الكتب التي يقرأونها، ذكرت الدراسة أنّ الروايات هي على الأرجح ما تقرأه غالبيتهم⁸¹.

أصنافُ القراءة الإلكترونية

فيما تشهد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في هذا العصر تطوراً منقطع النظير، لا يمكن بقاء القراءة حبيسةً المطبوعات الورقية. لذا كان من الطبيعي ظهور وسائل إلكترونية جديدة تحمل الكتابة والنصوص، وتستوعب

الشكل 9:

أصنافُ القراءة الإلكترونية في الدول العربية



الكتب والمجلات والصحف وكل أصناف المنشورات؛ وبالتالي ظهور نمط القراءة الرقمية الجديد. كذلك تعددت المواقع والشبكات وتنوعت مجالاتها وتخصصاتها، ما أتاح طفرة كبيرة في المعلومات التي يمكن الحصول عليها بأقل جهد وأقصر وقت؛ ومساحاتٍ أوسعٍ للتفاعل، سواءً مع النص المقروء أو مع المستخدمين الآخرين لهذه المواقع أو الشبكات في أصقاع العالم.

في هذا الصدد، عندما سُئل المستجوبون في استبيان القراءة عن أصناف القراءة الإلكترونية التي يمارسونها أكثر من غيرها، كشفت النتائج عن أسبقية القراءة على الشبكات الاجتماعية (بنسبة 23.52 في المئة)، والمواقع الإخبارية (بنسبة 23.02 في المئة)، تلي ذلك قراءة الكتب الإلكترونية (بنسبة 21.01 في المئة). وجاءت مواقع المجلات الإلكترونية المختصة في المرتبة الرابعة (بنسبة 15.32 في المئة)، تليها المدونات والشبكات المهنية (9.35 و 7.78 في المئة على التوالي). ويتبين من خلال هذا التوزيع أن القراءة الإلكترونية موجهة أكثر نحو مجالات الحياة العامة؛ ما يتفق مع ما توصلت إليه دراسة مؤسسة الصفحة التالية من أن أغلب مستخدمي الإنترنت يفعلون ذلك للدردشة أو قراءة الصحف والمجلات (80 في المئة في لبنان، 62 في المئة في مصر، 77 في المئة في السعودية، 55 في المئة في تونس، و59 في المئة في المغرب، و78 في المئة في فلسطين، 100 في المئة في سوريا، و75 في المئة في الأردن).

في هذا المضمار، لاحظ بعض المفكرين والإعلاميين أن القراءة الرقمية ترتبط بالحياة العامة للأفراد؛ بينما ترتبط القراءة الورقية على نحو أكبر بالمؤسسات الرسمية، والمدرسة، والجامعة، والإدارات، والبحوث والتقارير، وغير ذلك. "فالقراءة الرقمية أصبحت واقعا معيشيا، وسلوكا يوميا، وجد الفرد نفسه ممارسا له بمستويات مختلفة،

ويتعلّمه بسرعة بدون الذهاب إلى المدرسة، ولهذا فالقراءة بمواصفات الرقمي تأخذ طابع مطلب الحاجة، لما لها من علاقة مباشرة بالممارسة اليومية⁸².

غير أنّ موضوع القراءة عبر الوسائط الإلكترونية لا يخلو من جدل بين مؤيّد لها ومحدّر لها انعكاساتها على القدرات الذهنية للإنسان. فرغم الاعتراف المتزايد بمحاسن هذه الوسائط (توفير الجهد والكلفة والوقت، وتوسيع فرص القراءة وتحريرها من قيود الزمان والمكان، وما شابه ذلك)، يُحدّر اختصاصيون في علمي النفس والأعصاب من تأثير القراءة المجتزأة والتصفح السريع لمحتوى الإنترنت في تفعيل الروابط العصبية في الدماغ؛ ومن ثمّ في طرق تشكّلها. ويرى هؤلاء الاختصاصيون أنّ استخدام الإنترنت يُنمي مهارات المستخدمين في العثور على المعلومات، لكنّه في المقابل يُعرضهم إلى صعوبات في التركيز على المقالات المعمّقة (حيث لا تتجاوز نسبة التركيز خلال القراءة الرقمية 25 في المئة، مقارنة بالقراءة الورقية)، وضعف مستوى الاهتمام؛ ما يُصعب فهم المعلومات المتدفّقة⁸³.

الاهتمام بحركة النشر ومتابعتها

تفيد النتائج بأنّ 19.68 في المئة من المشاركين في الاستبيان يُتابعون بانتظام ما يُنشر من مؤلّفات ورقية، و18.60 في المئة يُتابعون بانتظام ما يُنشر في المكتبات الرقمية؛ ما يعني أنّ نسبة المتابعين لحركة النشر بنوعيه تصل إلى 38.29 في المئة. ويمكن اعتبار هذه النسبة إشارة غير مباشرة إلى وجود اهتمام بعالم القراءة والمنشورات، وإلى التقارب الكبير في درجة هذا الاهتمام بين النشر الورقي والنشر الإلكتروني؛ وهي نتيجة تلتقي نسبياً مع ما أفرزته المقارنة بين منسوب القراءتين الورقية والإلكترونية من أسبقية لهذه الأخيرة.

على صعيد المقارنة بين الدول العربية، يُلاحظ تقارب كبير في نسب المتابعين في كلا النوعين من القراءة، باستثناء جيبوتي وموريتانيا، وبخاصة في جزر القمر والصومال، حيث لم تتجاوز نسب المتابعين للمنشورات الرقمية 3 في المئة؛ وهذه نتيجة غير مستغرّبة، بالنظر إلى أوضاع هاتين الدولتين، وافتقارهما للبنية التكنولوجية الضرورية للاستفادة من الإنترنت والخدمات الإلكترونية. وقد عبّرت باحثة إماراتية في الأمن الاجتماعي والثقافي عن ذلك بالقول إنّ الثقافة الرقمية "لا تسير في خط متوازن، سواء داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة. حيث خلقت أماطاً من الاحتكار الثقافي، ترتب عليه أنها لا تتوزع بصورة متساوية بين الأفراد والمجتمعات، بل إن فرص وصول الأفراد والمجتمعات إليها أصبح يعتمد على قدراتهم وإمكانياتهم في التعامل معها، واستخدام الوسائط التكنولوجية... ولا شك أن هذه الإمكانيات ترتبط ارتباطاً عكسياً بمعدل الأمية التكنولوجية. وتصل هذه الإمكانيات إلى حدها الأدنى، وربما تكون منعدمة في ظل ارتفاع معدل الأمية الأبجدية، التي لا زالت سمة لصيقة بالعديد من المجتمعات"⁸⁴.

الخلاصة والتوصيات

تُعتبر القراءة بحق أداة الإنسان الرئيسية لاكتساب المعرفة والاتصال بالآخرين، ووسيلته لتحقيق الرقي والازدهار؛ ولذا أعطتها المدينة الحديثة أهمية حيوية، وجعلتها إحدى علامات الرقي الفكري والحضاري.

فهي تفتح أمام الإنسان أبواب المعرفة الواسعة، وتجعله شخصاً متيقظاً ونامياً باستمرار. غير أن ذلك لا يتأتى للإنسان، ما لم تصبح القراءة عادةً يوميةً تُلازمه مدى الحياة؛ خصوصاً في ما يُوصف بمجتمع المعرفة المتطورة، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، واقتصاد المعرفة، هذا المجتمع الذي قوامه التعلم الدائم والمستمر، المتسم بالابتكار والتجديد.

من هنا، كان التوجُّه نحو بناء مؤشر القراءة العربي ليخطو خطوةً جديدةً في مسيرة بناء مشروع المعرفة العربي الذي يستهدف فتح مداخل النهوض بواقع المعرفة، وفق رؤية تنموية مستنيرة تتسم بالاعتدال والاستدامة. ويسعى هذا المؤشر إلى تشخيص إشكالية القراءة في المنطقة العربية، ورصد مستوياتها وتنوع أشكالها وحواملها، وضبط العوامل المتحكِّمة فيها؛ بهدف صياغة رؤية شاملة تساعد على توظيفها لتكون رافداً أساسياً في بناء مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية الإنسانية المستدامة للشعوب العربية. ويكتسب مؤشر القراءة العربي مشروعيته من حاجة المنطقة الماسية إلى بناء أدوات علمية منهجية بمواصفات عالمية تُخول الوقوف على حقيقة وضع القراءة في الدول العربية الذي غالباً ما تُعطيه الأرقام المتداولة صورةً مأساويةً ومحبطة، وتساعد على النهوض بالقراءة كأداة للتنمية والتطوير المجتمعي.

وقد أكدت نتائج الاستقصاء الميداني الذي شمل 148,294 مشاركاً ومشاركةً من الدول العربية كافةً (60,680 طالباً وطالبةً من مختلف المراحل التعليمية، و87,614 من غير الطلبة المنتمين إلى شرائح اجتماعية ومهنية مختلفة) أن الشعوب العربية لم تهجر القراءة تماماً مثلما شاع ذلك في السنوات الأخيرة. ولربما تكون جاذبية القراءة الورقية تراجعت نوعاً ما، وبخاصة في صفوف الأجيال الجديدة التي فتحت أعينها على التكنولوجيات الحديثة، لكن القراءة كفعل وممارسة وتفاعل مع النصوص والمستندات المكتوبة لم تتراجع؛ بل على العكس من ذلك، تضاعفت مرّات ومرّات تحت تأثير الانتشار الواسع للوسائط التكنولوجية وتطبيقاتها المتنوعة، وعلى رأسها الهواتف الذكية والحواسيب اللوحية وأجهزة القراءة الإلكترونية.

وبعيداً عن الجدل القائم حول أفضلية هذه القراءة أو تلك، تُشير مجمل الأرقام التي كشف عنها مؤشر القراءة العربي إلى أن منسوب القراءة في أغلب الدول العربية يُسجل ارتفاعاً كبيراً وتزايداً مستمراً. صحيح أن من غير الممكن الادّعاء بأن وضع القراءة في المنطقة العربية هو الآن في أفضل حالاته، خصوصاً أن المعطيات الموضوعية حول نوعية القراءات لا تزال شحيحةً أو تكاد تنعدم؛ لكن ما وفّرت الدراسة الحالية من بيانات دقيقة كافٍ للإقرار بأن العرب يقرؤون (رداً على مقولة أن "العرب لا يقرؤون"). لربما تختلف دوافع العرب وأهدافهم، وتنوع وسائلهم ووسائطهم، وتباين قدراتهم ومهاراتهم، وتتفاوت إمكاناتهم المادية؛ لكنهم يقرؤون، وفي هذا الأمر دليل إيجابي على وجود قاعدة أساسية قابلة للتّمتين والتّرقية.

في الوقت ذاته، ساعد مؤشر القراءة على الكشف عن الثغرات التي ينبغي التعامل معها لتحسين وضع القراءة في المنطقة، وبخاصة في مستوى البيئات الأساسية المسؤولة عن تربية النشء؛ والتي يُمكن من خلال ما تتبّعه من أساليب تربوية، وما تُوفّره من مثيرات حسّية وذهنية، أن تساهم في ترغيبهم في القراءة أو تنفيرهم منها. وفي هذا الصدد، تبين أن عوامل إتاحة فرص القراءة متوفرة في أغلب الدول العربية بدرجات متفاوتة؛ باستثناء

الدول التي تعيش أوضاعاً متوترة. لكن تظل الحاجة قائمةً إلى زيادة تعزيز هذه الإتاحة بمختلف مستوياتها: الأسرية والمدرسية والمجتمعية. فإعداد جيلٍ يُحبّ القراءة ويُمارسها على أرض الواقع مسؤوليةٌ مشتركة تتطلب جهوداً متكاتفه من جانب الأسرة والمؤسسة التعليمية، وإرادةً سياسيةً فاعلة، ودعمًا اجتماعيًا قويًا.

القراءة ليست مجرد عملية فكل رموز مكتوبة، بل هي في الأساس عملية تفاعلٍ ذهنية ووجدانية بين القارئ والمقروء؛ ولذا لا يمكن فهم ديناميتها بمنأى عن السمات الشخصية المميّزة للفرد. من هذا المنطلق، كان اهتمام مؤسّر القراءة العربي باستطلاع القدرات والدافعية والاتجاهات القرائية؛ حيث أظهرت النتائج وجود تفاوتات هامة بين الدول كما هو الشأن بالنسبة إلى عوامل الإتاحة. وإذا ما عُلم أن الدول التي ظهرت فيها محدودية مستويات الاتجاهات والدافعية نحو القراءة هي نفسها التي سُجّلت فيها أدنى مستويات الإتاحة، وهي أيضًا التي جاء فيها منسوب القراءة ضعيفًا، يُدرك بوضوح مدى الخطر الذي يهدد الكيان الثقافي والمعرفي والتنموي لهذه الدول حاضرًا ومستقبلاً.

ويُمثل هذا التشخيص صقارة إنذارٍ تضع بقية الدول العربية ذات التجارب الناجحة والموارد الكافية أمام مسؤولية حضارية جسيمة تتمثل في تكثيف الجهود التضامنية وإيجاد آليات فعّالة للتعاون المشترك، كقيلة بمساعدة الدول العربية التي تُعاني أزماتٍ مختلفة على التخلص من أزماتها والنهوض من جديد؛ ما يضمن مستقبلًا أفضل للمنطقة العربية ككل. فمخاطر التخلف الفكري والثقافي والمعرفي عمومًا لا تنحصر في حدود الدولة المعنية بها فحسب، بل تمتد انعكاساتها الهدامة لتهدد استقرار المنطقة وفرصها في تحقيق مستويات تنموية تؤهلها لمنافسة المناطق الأخرى. فكما قال الشيخ محمد بن راشد، "قدرنا كعرب أن نعمل معاً ونواجه التحديات معاً، والإمكانات متوفرة والفرص موجودة. وإذا حيّدنا المشتركات الكثيرة التي تجمع بين العرب، فإن الجغرافيا وحدها تفرض على الدول العربية أعلى درجات التعاون. العالم حين يتعامل معنا يضع هذه المشتركات في قلب سياساته وحساباته وخطته وبغض النظر عن مدى فاعلية هذه المشتركات. علينا وضع هذه الفاعلية في اتجاهاتٍ إيجابية وبناءة"⁸⁵؛ لأن "الأمة العربية ستظل أمة واحدة ومصيرها واحد على الرغم من حدوث بعض التصدعات في جدار التضامن والصف العربي من حين لآخر"⁸⁶.

على المستوى الوطني المحلي، لا بدّ للدول العربية والهيكل القائمة فيها من وزارات الثقافة والشباب والتعليم، ومؤسسات المجتمع المدني، أن تضع خططاً استراتيجية لغرس القراءة في نفوس الصغار والشباب. ويتحقق ذلك عبر إرساء برامج وممارسات تعليمية محفزة على القراءة، إضافة إلى وضع برامج توعوية تستهدف الارتقاء بثقافة الأسرة وتحسسها بأهمية تعويد الأطفال على ممارسة القراءة بانتظام؛ إلى جانب تهيئة البيئة الاجتماعية وتوفير ما يلزم من المرافق والفضاءات والفعاليات (المكتبات، ونوادي القراءة، ومعارض الكتب، وورش الكتابة، إلخ.) التي تجعل الشخص في علاقة موصولة بالقراءة على اختلاف أنواعها ومحاميلها. وفي هذا الإطار، لا مناص من توظيف الإعلام بكل وسائله التقليدية والحديثة ليؤدي دوره في توجيه الذوق العام نحو القراءة والتأثير في سلوك أفراد المجتمع، وبخاصة الأطفال والمراهقون، عبر وضع حزمة برامج جادة ومفيدة؛ تستهدف التحسيس بفوائد القراءة والترغيب فيها، والتعريف بالمنشورات الجديدة، وبرمجة حلقات نقاشية حول المؤلفات الجيدة والهادفة، ولقاءات مع المؤلفين والمبدعين، وغيرها. إلى جانب ذلك، يُطوّر المشهد السمعي والبصري، صورة

وخطابًا، حتى يحمل مضامينَ وقيماً تُعيد للقراءة جاذبيتها، وترتقي بنوعيتها وتوجهها؛ كي تكون أحد الروافد الأساسية لتحقيق مجتمع المعرفة.

تجدر الإشارة إلى أن هذه النتائج التي استعرضها التقرير الحالي لا تمثل إلا جزءًا بسيطًا مما يمكن أن يُتبعه مؤشر القراءة العربي من تحليلات. فقد مكن الاستقصاء الميداني من بناء قاعدة معطيات ثرية هي الأولى من نوعها في المنطقة العربية وربما في العالم، يمكن استثمارها في إنجاز عدّة دراساتٍ كميةٍ ونوعيةٍ معمّقة؛ من شأنها المساعدة على تشخيص أعمق لوضع القراءة. لذا، يُتوقع أن يتواصل العمل في المرحلة القادمة في اتجاهين متكاملين:

- الاتجاه الأول: إن تركيز التقرير الحالي على عرض نتائج المعالجة الإجمالية لوضع القراءة في المنطقة العربية (كل أفراد العينة بمختلف ملامحهم الشخصية والاجتماعية والتعليمية)، لا يعني عدم الوعي بأهمية الفروق بين الشخصية وتأثيرها في العلاقة بالقراءة؛ ولذا سيستكمل هذا التقرير الأول بتقرير لاحق يتعمق في دراسة مختلف الظواهر المتعلقة بالقراءة في ضوء مجموعة من المتغيرات الأساسية مثل النوع الاجتماعي، والسن، والمرحلة التعليمية، ومنطقة السكن، وصفة القارئ (طالب/غير طالب)، وما شابه ذلك.

- الاتجاه الثاني: إغناء الصيغة الحالية لمؤشر القراءة عبر إيجاد تقاطعات مع مصادر أخرى للبيانات تساعد على زيادة الإحاطة الموضوعية بحال الكتب والقراءة. ولسوف يُعمل على تعزيز الأبعاد التي يتناولها الاستبيان بمعطيات أخرى موضوعية حول نشر الكتب وتوزيعها، ونسق تنظيم معارض الكتب وعدد زوارها، وأشكال تسويق الكتب، وإجراءات حماية حقوق التأليف، وغيرها. وهذه كلها متغيرات تعكس مدى ازدهار حركة إنتاج مواد القراءة، ورواجها في المجتمع.

الخاتمة

لا جدال في أن القراءة مفتاح المعرفة المرتبطة بالتنمية، وهي السبيل الوحيد لتحرير العقول وكسر حواجز الجهل وإنقاذ الأمم والشعوب من مستنقعات التخلف والتبعية. فبقدر ما يرتفع منسوب القراءة لدى أفراد المجتمع تتوسع آفاق تفكيرهم، وتمتد مساحات رؤاهم، ويزداد وعيهم، وتتنامى قدراتهم على مدّ جسور تواصل مستديمة مع المعرفة. وعلى العكس من ذلك، كلما تضاعل رصيدهم القرائي ازدادت احتمالات تعرضهم إلى مخاطر الفكر الهدامة ووقوعهم فريسة للتضليل الثقافي والتهميش الاجتماعي؛ ما يؤدي بهم إلى العجز والقصور عن المساهمة الفاعلة في مسيرة التنمية. فالقراءة الهادفة هي نقيض الجمود والخمول، لأنها عملية ديناميكية، وفعل دائم التحرك في أحد اتجاهين أو كليهما: اتجاه داخلي نحو الذات لفهمها وإغنائها وتنميتها، واتجاه خارجي نحو المحيط الخارجي ببُعديته المادي والإنساني؛ لاكتشافه، وإجلاء مكامن الغموض فيه، وخلق مساحة للمشاركة الفعالة والانسجام الخلاق.

بهذا المفهوم، تصبح القراءة ركيزة لا غنى عنها لتمكين الإنسان وتقوية مناعته ضد كل أشكال التردّي والانحطاط، ولبناء رأس المال المعرفي الذي من دونه تتبخر كل الآمال في تحقيق تنمية عربية شاملة ومستدامة. إلا أنّ تحقيق هذه الذات القارئة المتمكّنة يستوجب تنشئة جيل يتجاوز مستوى القراءة النفعية (بدافع الواجب، أو استجابة لطلب خارجي)، وإن كان ذلك مطلوباً في مرحلة ما، للارتقاء إلى مستوى القراءة الطوعية؛ حيث يصبح فعل القراءة ممارسة تلقائية مُوطّنة في حياته اليومية، تنبع من إرادة واعية تُدرك الأهمية الحيوية للقراءة من أجل تنمية ذاتها وتطوير مجتمعيها. وهذا بحق حقيقة هو تحدّي القراءة الحقيقي!

الهوامش

- 1 يوحنا 5: 39.
- 2 القرآن الكريم، سورة العلق، 3-5.
- 3 بتصرف عن مقولة أمين الزاوي.
- 4 .Voltaire, 1796.
- 5 عباس محمود العقاد، 1982.
- 6 الباحث العربي.
- 7 .Legendre, 1993.
- 8 الغالي أحراشو، 2014.
- 9 عبد القادر الزاكي وآخرون، 2013.
- 10 .Braille
- 11 .Reading, Lecture
- 12 .Literacy, Lecturisation
- 13 اليونسكو، 2005.
- 14 .Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD), 2003
- 15 .Office québécois de la langue française, 2005
- 16 منظمة التعاون الإسلامي، 2010.
- 17 منى شكري، 2015.
- 18 .UNESCO, 2014
- 19 .National Center for Education Statistics, 1999
- 20 فهد المضحكي، 2015.
- 21 فاضل العماني، 2011.
- 22 منى شكري، 2015.
- 23 منى شكري، 2015.
- 24 مؤسسة الفكر العربي، 2009.
- 25 ريم كريمة، 2015.
- 26 ريم كريمة، 2015.
- 27 مؤسسة الفكر العربي، 2009.
- 28 همام سرحان، 2010.
- 29 رصيف22، 2016.
- 30 منى سالم، 2010.
- 31 يونس مليح، 2015.

موزاييك، 2016.	32
سعاد بو عناقة، 2015.	33
منى سالم، 2010.	34
سليمان كايد، 2009.	35
خالد عباس طاشكندي، 2015.	36
Caldwell, 2012.	37
Duriez et al, 1991.	38
Hersent, 2000.	39
خالد عباس طاشكندي، 2015.	40
الجزيرة مباشرة، 2015.	41
Caldwell, 2012.	42
تحدي القراءة العربي، 2015.	43
منى شكري، 2015.	44
e-book.	45
منى شكري، 2015.	46
نور الدين تواتي، 2004.	47
منى شكري، 2015.	48
منى شكري، 2015.	49
منى شكري، 2015.	50
منى شكري، 2015.	51
صالح بن عبدالعزيز النصار وآخرون، 2006.	52
اليونسكو، 2009.	53
اليونسكو، 2016.	54
نزار عيون السود، 2009.	55
نزار عيون السود، 2009.	56
صالح عبد العزيز النصار وآخرون، 2006.	57
نزار عيون السود، 2009.	58
.Next Page Foundation	59
الصفحة التالية وسينوفيت، 2007.	60
.Next Page Foundation and Synovate, 2007	61
هسبريس، 2011.	62
.Heyman, 2014	63
خالد عباس طاشكندي، 2015.	64
.UNESCO, 2014	65

جمال نفاع، 2015.	66
.Bélisle, 2011	67
مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، 2013.	68
http://www.mbrf.ae	69
http://www.qf.org.qa/home-ar	70
عبد الكريم بكار، 2008.	71
مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، 2013.	72
محمد شعبان عبد الباري، 2010.	73
صالح بن عبد-العزیز النصار وآخرون، 2006.	74
.Wang and Guthrie, 2004	75
اليونسكو، 2005.	76
الأمم المتحدة، 2002.	77
.Bélisle, 2011	78
.Seligman et al, 2005	79
.Bavishi et al., 2016	80
عبد الاله مجيد، 2016.	81
زهور كرام، 2014.	82
ميخائيل أديب، 2012.	83
شما بنت محمد بن خالد آل نهيان، 2012.	84
تاج الدين عبد الحق، 2006.	85
https://sheikhmohammed.ae/ar-ae	86

المراجع



المراجع بالعربية

الأمم المتحدة (2002). قرار اتخذته الجمعية العامة بناء على تقرير اللجنة الثالثة. الجمعية العامة، الدورة السادسة والخمسون. البند 108 من جدول الأعمال. 18 كانون الثاني/يناير 2002.
http://www.un.org/arabic/documents/GARes/56/A_RES.116_56_pdf

ألبرتو مانغويل (2014). فن القراءة. ترجمة عباس المفرجي. بيروت: دار المدى.

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (2014). تقرير المعرفة العربي للعام 2014: الشباب وتوطين المعرفة. دبي: شركة دار الغرير للطباعة والنشر.
http://www.knowledge4all.com/uploads/files/AKR2014Gen/ar/AKR2014_Full_Ar.pdf

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (2012). تقرير المعرفة العربي للعام 2010/2011: إعداد الأجيال الناشئة لمجتمع المعرفة. دبي: شركة دار الغرير للطباعة والنشر.
http://www.knowledge4all.com/uploads/files/AKR2011/ar/AKR2011_Full_Ar.pdf

تحدي القراءة العربي (2015). 50 مليون كتاب في كل عام.
<http://www.arabreadingchallenge.com/>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

جمال نافع. (2015). سلطان القاسمي يشهد انطلاق فعاليات مؤتمر الناشرين العرب الثالث في الشارقة. بوابة الأهرام. 2 نوفمبر 2015.

حسن خاطر (2008). فضيحة القراءة في العالم العربي. موقع ديوان العرب. 8 كانون أول/ديسمبر 2008.
[http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article16192=](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article16192)
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

خالد عباس طاشكندي (2015). مخاوف من حدوث «تصحّر ثقافي».. هل أمة اقرأ لا تقرأ؟. موقع عكاظ. 7 كانون ثاني/يناير 2015.
<http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20150107/Con20150107745479.htm>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

راديو موزاييك (2016). استطلاع رأي: التونسيون لا يقرؤون الكتب. 30 آذار/ مارس 2016.

<http://www.mosaiquefm.net/ar.html>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

ريم كريمة (2015). كي لا تبقى القراءة واقعا مريرا في العالم العربي. موقع تعليم جديد. 28 كانون الثاني/

يناير 2015.

<http://www.new-educ.com/reading-in-the-arab-world>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

زهور كرام (2014). القراءة من الورقي إلى الرقمي واختلاف السؤال. القدس العربي. 25 تشرين الثاني/

نوفمبر 2014.

<http://www.alquds.co.uk/?p255421=>

تم الدخول للموقع بتاريخ 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.

سعاد بوعنافة (2015). فضاءات القراءة المتاحة للطفل الجزائري. *Journal Cybrarians*. العدد 38. يونيو

2015.

http://www.journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id693=

[:souad&catid:275=researches&Itemid93=](http://www.journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id693=:souad&catid:275=researches&Itemid93=)

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

سليمان كايد (2009). المطالعة مفتاح الثقافة مفهومها ودورها في تنمية الفرد والمجتمع. موقع صالون

الأستاذة أقان دروزة الثقافي.

http://www.afnanculturalsalon.org/salon_kalimat.74/htm

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

سلمان مصالحة (2014). أسباب إخفاق التلاميذ العرب في الاختبارات الدولية. موقع إيلاف. 28 آذار/ مارس

2014.

<http://elaph.com/Web/opinion.2014/3/890044/html#sthash.TqPsM7uC.dpuffjhvd0>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

شما بنت محمد بن خالد آل نهيان (2012). القراءة في عصر الثقافة الرقمية. الاتحاد. 3 كانون الثاني/يناير

2012.

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id63388=>

صالح بن عبدالعزيز النصار وآخرون (2006). الدافعية للقراءة وعلاقتها ببعض المتغيرات الشخصية والمعرفية لدى الدافعية للقراءة وعلاقتها ببعض المتغيرات الشخصية والمعرفية لدى طلاب المرحلة المتوسطة. مجلة كلية التربية. القاهرة: جامعة عين شمس. عدد 30. الجزء الرابع.

عبد القادر الزاكي وآخرون (2013). الدليل العملي لتنمية مهارات القراءة الوظيفية والقراءة الحرة. المغرب: وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، الوحدة المركزية لتكوين الأطر.

عبدالله المجيد (2016). قراءة الكتب تطيل العمر. إيلاف. 12 آب/أغسطس 2016.

<http://elaph.com/web/culture/culture/2016/8/1103403.html>

تم الدخول للموقع بتاريخ 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.

الغالي أحرشواو (2014). بناء مقياس لتقويم الأداء في القراءة باللغة العربية عند الطفل المغربي. سلسلة الدراسات العلمية الموسمية المتخصصة. الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

فاضل العماني (2011). أزمة القراءة في العالم العربي. موقع الوطن أون لاين. 14 كانون الثاني/يناير 2011.

<http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleID4008=>

تم الدخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

فهد المضحكي (2015). الكتابة بحبر أسود. صحيفة الأيام. العدد 9736. 5 كانون أول/ديسمبر 2015.

<http://www.alayam.com/Article/courts-article%./401374/D8%A7%D9%84%D9%8>

[3%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-D8%A8%D8%AD%D8%A8%D8%B1-](http://www.alayam.com/Article/courts-article%./401374/D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-D8%A8%D8%AD%D8%A8%D8%B1-%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF.html)

[-D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF.html](http://www.alayam.com/Article/courts-article%./401374/D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-D8%A8%D8%AD%D8%A8%D8%B1-%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF.html)

تم الدخول للموقع بتاريخ 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.

ليزلي فارمر وإيفانكا ستريسييفيك (2011). استخدام البحث في الترويج لمحو الأمية والقراءة: إرشادات للمكتبيين. تقارير الإفلا المهنية. التقرير رقم 130. الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات. الهاج: مقر الإفلا الرئيسي.

<http://www.ifla.org/files/assets/hq/publications/professional-report.130/pdf>

عباس محمود العقاد (1982). أنا. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

عبد الكريم بكار (2008). القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات. الطبعة السادسة. دمشق: دار القلم وبيروت: الدار الشامية.

<https://archive.org/details/qmmwa>

ماهر شعبان عبد الباري (2010). سيكولوجية القراءة وتطبيقاتها التربوية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي (2013). القراءة ومجتمع المعرفة.

http://ar.kingabdulazizcenter.com/sites/default/files/presskit_leaflet_ar.pdf

منى سالم (2010). محاضرة استقراء ميول القراءة وما يقرأه الأطفال. موقع زمزم. 27 تشرين أول / أكتوبر 2010.

http://www.zamzamworld.com/parents_education.18_htm

تم الدخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

منى شكري (2015). باحثون عرب يشخصون واقع القراءة في الوطن العربي. صحيفة ذوات. 19 آذار/ مارس 2015.

=_باحثون_عرب_يشخصون_واقع_القراءة_في_الثقافة_الوطن_العربي=&category_alias=ثقافة_الوطن_العربي=&post_alias=

تم الدخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2016). مهارات القراءة للجميع.

<http://ar.unesco.org/themes/مهارات-القراءة-لجميع>

تم الدخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

معهد اليونسكو للإحصاء (2009). الجيل التالي من إحصائيات معرفة القراءة والكتابة: تنفيذ برنامج تقييم وتتبع مستويات القرائية تقرير تقني رقم 1. مونتريال.

<http://www.uis.unesco.org/Library/Documents/tech1-ara.pdf>

موقع بريق (2014). مبادرات القراءة التي تعطي مؤشرا عن ازدياد الاهتمام بالثقافة. 28 آب/ أغسطس 2014.

<http://bayyraq.com>

تم الدخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

معجم الباحث العربي (2016). «اقرأ».

<http://www.baheth.info/all.jsp?termل=>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

موقع الرافد (2016).

<http://www.araafid.ae/>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2005). مبادرة القرائية من أجل التمكين 2005-2015. رؤية وورقة استراتيجية. شعبة التعليم الأساسي قطاع التربية. تشرين الأول/أكتوبر 2005. باريس.
<http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001411/141177/a.pdf>

منظمة التعاون الإسلامي (2010). التعليم والتنمية العلمية في البلدان الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. أنقرة: مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية.
<http://www.sesric.org/files/article.418/pdf>

مؤسسة الفكر العربي (2010). التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية. بيروت.
<http://arabthought.org/sites/default/files/report3.pdf>

مؤسسة الفكر العربي (2009). التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية. بيروت.
<http://arabthought.org/sites/default/files/Takrir1.pdf>

قناة الجزيرة مباشر (2015). العرب أكثر الشعوب أمية.. وقطر قد تتخلص منها قريباً. 9 شباط/ فبراير 2015.

<http://mubasher.aljazeera.net/news/art-and-culture.2015/02/20152913458680770/htm>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

رصيف 22 (2015). كم يقرأ العرب وماذا يقرأون. 23 نيسان/ أبريل 2015.
<http://raseef22.com/culture/2015/04/23/reading-habits-in-the-arab-world/>
تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

النجاح نت (2016). القراءة في العالم العربي... إحصائيات وأرقام تكشف عن الواقع المخجل. 15 شباط / فبراير 2016.

http://annajah.net/arabic/show_article.shtml?id&20611=print=true

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

نور الدين تواتي (2004). مفهوم عادة المطالعة. موقع واحة القطيف. 22 كانون ثاني / يناير 2004.

<http://www.qatifoasis.com/?act=artc&id57=>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

همام سرحان (2010). لماذا لا يقرأ العرب؟.. تتعدد الأسباب و«الأزمة» واحدة! موقع المستجدات السويسرية. 1 نيسان / أبريل 2010.

<http://www.swissinfo.ch>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

يونس مليح (2015). يونس مليح: دفاعا عن القراءة في العالم العربي. صحيفة رأس اليوم. 20 يونيو 2015.

<http://www.raialyoum.com/?p274919=>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

نزار عيون السود (2009). سيكولوجية القراءة واستيعاب مضامينها. موقع إيلاف. 3 تشرين / أكتوبر 2009.

<http://elaph.com/Web/Knowledge.2009/10/489396/htm>

تم الدّخول للموقع بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

هسبريس (2011). استطلاع ياهو: ربع سكان العالم العربي لا يقرؤون. 31 شباط/مارس 2011.

<http://www.hespress.com/permalink.29802/htm>

تم الدخول للموقع بتاريخ 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.

الصفحة التالية وسينوفيت (2007). ماذا يقرأ العرب: دراسة حول القراءة في العالم العربي. المرحلة الأولى:

مصر، لبنان، السعودية، تونس، المغرب. كانون الثاني/يناير 2007.

[http://www.npage.org/IMG/pdf_4/What_Arabs_Read_-_Phase_1_readership_report_in_](http://www.npage.org/IMG/pdf_4/What_Arabs_Read_-_Phase_1_readership_report_in_Arabic.pdf)

Arabic.pdf

Bavishi, A., M. D. Slade, and B. R. Levy (2016). *Social Science & Medicine*. Elsevier. Available from: www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0277953616303689

Caldwell, L. (2012). The Arab Reader and the Myth of Six Minutes. *Al Akhbar English Newspaper*. January 10, 2012. Retrieved September 23, 2016, from: <http://english.al-akhbar.com/node/3168>

Flood, A. (2016). Book Up for a Longer Life: Readers Die Later, Study Finds. August 8, 2016. *The Guardian*. Retrieved on November 27, 2016 from: <https://www.theguardian.com/books/2016/aug/08/book-up-for-a-longer-life-readers-die-later-study-finds>

Heyman, S. (2014). In Europe, Slower Growth for e-Books. *The International New York Times*. November 12, 2014. http://www.nytimes.com/2014/11/13/arts/international/in-europe-slower-growth-for-e-books.html?_r=1

International Association for the Evaluation of Educational Achievement (2012). *Progress in International Reading Literacy Study (PIRLS) 2011*. Chestnut Hill, MA: TIMSS & PIRLS International Study Center; and Amsterdam: IEA. Available from: http://timssand-pirls.bc.edu/pirls2011/downloads/P11_IR_FrontMatter.pdf

Lyon, G. R. (2002). *The Right to Read and the Responsibility to Teach*. Center for Development and Learning. Retrieved September 23, 2016, from: <http://www.cdl.org/articles/the-right-to-read-and-the-responsibility-to-teach/>

National Center for Education Statistics (1999). *National Assessment for Educational Progress (NAEP) 1998: Reading Report Card for the Nation and the States*. Washington, D.C.: US Department of Education, Office of Educational Research and Development. Available from: <http://nces.ed.gov/naep/pdf/main1998/1999500.pdf>

Next Page and Synovate (2007). *What Arabs Read: A Pan-Arab Survey on Readership. Phase Two: Algeria, Jordan, Palestine and Syria*. September 2007. Available from: www.npage.org/IMG/pdf/5._What_Arabs_Read_-_Phase_2_readership_report_in_English.pdf

Organisation for Economic Co-operation and Development (2003). *Glossary of Statistical Terms*. Retrieved November 5, 2016, from: <https://stats.oecd.org/glossary/detail.asp?ID=5420>

Seligman, M. E. et al. (2005). *Positive Psychology Progress. American Psychologist*. July-August 2005. Available from: www.positiveinsights.co.uk/articles/EMPIRICAL_RESULT_OF_INTERVENTIONS.pdf

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (2014). *Reading in the Mobile Era: A Study of Mobile Reading in Developing Countries*. Paris. Available from: <http://unesdoc.unesco.org/images/0022/002274/227436e.pdf>

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (2004). *The Plurality of Literacy and its Implications for Policies and Programmes*. Paris. Available from: <http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001362/136246e.pdf>

Wang, J., and J. Guthrie (2004). Modelling the Effects of Intrinsic Motivation, Extrinsic Motivation, Amount of Reading, and Past Reading Achievement on Text Comprehension Between U.S. and Chinese Students. *Reading Research Quarterly*, vol. 39, No. 2.

Weise F. (2004). Being There: The Library as Place. *Journal of the Medical Library Association*, vol. 92, No. 1.

Duriez, B., J. Ion, M. Pinçon et M. Pinçon-Charlot (1991). Institutions Statistiques et Nomenclatures Socio-Professionnelles. *Revue Française de Sociologie*, vol. 32, No. 1. Disponible sur: http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1991_num_32_1_4019

Herse, J. F. (2000). *Sociologie de la Lecture en France: Etat des Lieux*. Essai de synthèse à partir des travaux de recherche menés en France. June 2000. Disponible sur: <http://www.culturecommunication.gouv.fr/content/download/30889/252984/version/1/file/Sociologie-lecture-France-2000.pdf>

Legendre, R. (1993). *Dictionnaire actuel de l'éducation*. Montréal: Guérin.

Office québécois de la langue française (2005). *Fiche Terminologique: Alphabétisation*. Récupéré le September 23, 2016, de: http://gdt.oqlf.gouv.qc.ca/ficheOqlf.aspx?Id_Fiche8355607=

Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (2016). *Manifeste de l'UNESCO sur la Bibliothèque Publique*. Récupéré le September 23, 2016, de: http://www.unesco.org/webworld/libraries/manifestos/libraman_fr.html

Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (1990). *Déclaration Mondiale sur l'Education pour Tous et Cadre d'Action pour Répondre aux Besoins Educatifs Fondamentaux*. New York. Disponible sur: http://mediatheque.francophonie.org/IMG/pdf/Conf_mondiale_education_pour_tous_Jo_m_t_i_e_n_Th_a_i_l_a_n_d_e_1990.pdf

Voltaire (1796). *Œuvres Complètes de Voltaire*. Aux Deux-Ponts: Sanson. 1791-1792.



شعوب متمكنة.
أمم صامدة.



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

